أدولف هتلـــر

Adolf HITLER

٢٠ أبريل سنة ١٨٨٩ — ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥

مولده ونشأته :

ولد أدولف هتلر فى العشرين من شهر أبريل سنة ١٨٨٩ فى قرية تقع على حدود النمسا أسمها « براوناو — آم — إن » (Braunau - am - Inn) لا يزيد عدد سكانها على الثلاثة آلاف نسمة .

كان والد أدولف هتلر يعيش فى فقر مدقع مع عائلته فى القرية المذكورة فاضطر إلى النزوح إلى فينا لكى يتعلم . وبعد عشر سنوات من كفاح مستمر حصل على وظيفة حكومية فى خدمة الجمارك وكان يبلغ من العمر وقتذاك ثلاثة وعشرين عاما . وظل موظفاً بالجمارك لمدة أربعة وعشرين عاما بعد ذلك .

ولد أدولف بعد أن تعدى والده الأربعين . وبعد بضع سنوات من ولادته أنتقل والده إلى بلدة « باساو » . ثم إلى بلدة « لينز » . وتقع البلدتان على نهر الدانوب . وفى البلدة الأخيرة دخل أدولف المدرسة . لم يلاحظ أحد على أدولف شيئاً غير عادى سوى أنه طفل متهور مندفع يحب السيطرة على زملائه ولا يحب أن يصاحب إلا أكثر زملائه تهوراً .

كانت التقاليد فى أمبراطورية النمسا القديمة أن يقتفى الابن أثر والده فكان أمل والد أدولف أن يعده ليكون موظفاً جمركياً ولكن أدولف رفض بشدة أن يرتدى فى يوم من الأيام سترة موظف الجمرك وأختار لنفسه طريقاً آخر أنتهى به لأن يكون قيصر القرن العشرين وأحتل مكاناً فى مسيرة تاريخ العالم لم يدانيه فيه أحد حتى بسمارك وفردريك الأكبر .

حصل والد أدلف على مكافأة التقاعد وهو فى مدينة لينز فاشترى بها منزلا وقطعة أرض ولكن أدولف بدأ يتململ من تخطيط والده له بأن يصبح موظفاً جمركياً ، كان قد بلغ الحادية عشرةمن عمره وبدأ فى

نقاش عنيف مع والده ورفض كلية أن يصبح هذا الموظف الجمركى .

قال هتلر عن تاريخ حياته « أن تفكيرى فى أن أجلس فى غرفة وأصبح موظفاً حكومياً كان كافياً لأن يجلب إلى النكد . ولم أكن أتحمل أن أفكر فى أن لا أكون سيد نفسى أو أن أقضى حياتى فى ملىء الاستمارات والنماذج ». لم تفلح أحاديث والد أدولف ولا نصائحه فى أن يعدل عن رأيه .

أظهر أدولف فى دراساته الأولى ميلا شديداً إلى الرسم ودراسة التاريخ والجغرافيا وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره كان النزاع بينه وبين والده على أشده فقد أبلغ والده بأنه قد أختار لنفسه أن يكون رساماً فأجابه والده بأن هذا لن يكون طالما هو على قيد الحياة .

عندما بلغ أدولف الثالثة عشرة من عمره توفى والده فجأة وفى نفسه مرارة من تصرفات أدولف وعدم إطاعته لرغبته . وبعد وفاة والده أصيب أدولف فى رئتيه مما دعا الطبيب إلى نصح والدته بأن لا تتركه فى مكان مغلق لمدة طويلة وعلى ذلك فقد منع عن الذهاب إلى المدرسة لمدة عام ثم وافقت والدته على أن تستجيب لرغبته بأن ترسله إلى « أكاديمية الفنون » فى فينا بمجرد أن تسمح صحته بذلك .

تدخل القدر مرة أخرى فى حياة أدولف فقد مرضت والدته بعد ثلاثة أعوام من وفاة والده وبعد أن أستنفذت كل ما تركه والده من مال أنفقته على علاج نفسها ولم يبق لأدولف وهو الآن فى السادسة عشرة من عمره سوى معاش بسيط يستحقه عن معاش والده البسيط ولذلك فقد وجد بأن الوقت قد حان لأن يبحث عن عمل ليعيش منه .

فى خلال فترة مرض والدته . كان أدولف فى فينا يحاول الالتحاق بأكاديمية الفنون ولكن لسوء حظه قدر أساتذة الأكاديمية بأن إنتاجه الفنى لا يسمح له بالالتحاق بها فلجأ أدولف إلى مدير الأكاديمية شخصياً الذى نصحه بأن يلتحق بفرع الرسم المعمارى ليكون رساماً معمارياً وليس رساماً فناناً ، ولما كان الالتحاق بقسم الرسم المعمارى يحتاج إلى تأدية أمتحان قبول فى بعض المعلومات والحصول على شهادة دراسية من مدرسة معمارية .

وهى الشروط التى لم تكن متوفرة فيه . فقد عقد أدولف العزم أن يستوفى الشروط المطلوبة فإن لم يتيسر له ذلك فإنه سيبدأ بالاشتغال كعامل لكى يحصل على التدريب المطلوب ويعاود التقدم إلى الأكاديمية .

كانت والدة أدولف قد توفيت فى تلك الأثناء فبقى وحيداً لمدة خمس سنوات يكافح فيها من أجل لقمة العيش عانى خلالها كل أنواع الحرمان . هنا يقول هتلر عن تلك الأيام « أننى مدين لتلك الأيام فقد علمتنى كيف أروض نفسى على تحمل الشدة وأن أكون على أستعداد لتحمل الشدة وأن أكون شديداً » . كان أدولف خلال تلك السنوات يقتطع من قوته لشراء الكتب ومشاهدة الأوبرا من بين حين وآخر إذ أنه قد تعلق منذ طفولته بموسيقى فاجنر التى الهبت خياله وغرست فى تفكيره تعظيم الجنس التيوتونى (الألمان والدانماركيين وبعض الأجناس الشمالية والبريطانيين (.زاد من حماس هتلر ما قرأه عن أنتصار المانيا السريع فى الحرب الفرنسية البروسية . وبهذه المشاعر الجياشة فى نفسه بأنه ينتمى إلى جنس رفيع المنزلة بين الأجناس البشرية بدأ يتكسب قوت يومه فى شوارع فينا كعامل يدوى ولكن سرعان ما أصبح بعد وقت قصير غضوباً مشاغباً لا سيما أنه كان فى حاجة إلى قوة جسمانية لا يتمتع بها وبدأ يشعر بأنه وهو فى عمله هذا لا يتمتع بأية مكانة إجماعية حتى بين زملائه فى العمل فأصبح عزوفاً حتى عن الأختلاط بهم وبدأت مشاحناته معهم عندما طلبوا إليه أن ينضم إلى نقابتهم . رفض هتلر طلبهم وأجابهم بأنه لن ينضم حتى يعرف المزيد عن النقابة فبادره زملاؤه بأن أصطحبوه إلى مركز « حزب الاشتراكى الديمقراطى الأوربى » . فى هذا المركز قالوا لهتلر بأن الدولة هى أختراع الرأسماليين . وأن الوطن هو أحد الشعارات التى تطلقها طبقة البرجوازية لاستغلال طبقة العمال . وأن أحترام القانون هو أحد وسائل أضطهاد البروليتاريا . أما المدارس فما هى إلا أمكنة لإخراج عبيد أو أسياد عبيد . أما الدين فما هو إلا الدواء المسكن للشعب ، والأخلاق والفضيلة هما ملجأ وملاذ الخجول الجبان .
ناقشهم هتلر فيما سمعه منهم وأندفع فى ثورة عارمة لتفنيد كل تلك الشعارات حتى لجأ زملاؤه — طبقاً لما يقوله هتلر نفسه « إلى أستعمال الوسائل التى

تتغلب على المنطق بسهولة . وهى وسائل الإرهاب والعنف » فأعطوه الخيار فى أن يترك العمل فوراً وإما أن يقذفوه من فوق سقالة البناء . يضيف هتلر بكلماته « ولما كنت وحيداً بمفردى وأعلم بأنه لا جدوى من المقاومة فقد فضلت أن أتخذ الطريق الأول وتركت العمل » .

ظل هتلر يعيش فى فينا بعد ذلك عيشة الكفاف . يأكل بقدر ويعيش فى فاقة وعوز . مستغلا وقت فراغه فى القراءة عن « الطبيعة البشرية » ، والمؤسسات السياسية . وكان يزور البرلمان النمساوى ويجلس فى الشرفة العامة . وهنا يقول هتلر بأنه سرعان ما تبدل شعوره عندما زادت مشاهدته للحياة البرلمانية النمساوية وأنقلب إلى أزدراء النظام الحكومى الديمقراطى بأكمله إذ وجد فيه أختفاء المسئولية والحط من القدرة على إدارة شئون الدولة وتسليمها إلى أيدى الغوغاء وأنتهى إلى النتيجة التى يصفها بأن « الأغلبية لا يمكن أن تحل محل الرجال » . وأن « مائة من الأغبياء لا يمكنهم أن يخرجوا من بينهم رجلا حكيما واحداً » . وأن مائة من الجبناء لا يمكنهم أن يتخذوا قراراً ثابتاً » . أضاف هتلر بأن « مهمة الديمقراطية هى — طبقاً للمذهوم الألمانى — محددة بحرية أختيار القائد — . ومن واجب القائد أن يتولى كافة المسئوليات ولا يجب مطلقاً أن يطلب من الشعب التصويت على أى موضوع آخر بخلاف أختيار هذا القائد الذى سيتحمل عبء أتخاذ كافة القرارات .

يقول هتلر « أن العقيدة اليهودية وكذا العقيدة الماركسية ترفضان الظاهرة المختارة للطبيعة وتستبدل التفوق الأزلى للقوة والسيطرة بالجماهير وبالأعداد التى لا قيمة لها . أن الطبيعة الأبدية تنتقم الآن بمراره لمخالفة قوانينها فهل لى أن أعتقد فى نفسى الآن بأننى أتصرف بوحى من الخالق الأعظم . . . . طالما أقاوم اليهود فأننى أخوض معركة الخالق » .

هتلر ينتقل إلى ميونيخ :

فى سنة ١٩١٢ أنتقل هتلر من فينا إلى ميونيخ لاعتزامه كسب قوته من بيع بعض رسوماته بالألوان المائية إذ وجد أن الفرصة لبيع منتجاته

فى ميونيخ أفضل منها فى فينا . فضلا عما كان يشعر به من سوء طالعه وعدم توفيقه فى فينا .

أندلعت الحرب العالمية الأولى عندما كان هتلر لا يزال رساماً مطموراً يتكسب بصعوبة ولكنه يشغل نفسه بأمور السياسة العليا التى لا تتفق وحالته ، وهنا يقول بأنه عندما علم بنبأ إعلان الحرب ركع على ركبتيه وقال « شكراً لله من كل قلبى » .

وجد هتلر فرصته السانحة لكى يدعو إلى القومية الألمانية التى طالما أستولت على تفكيره ومشاعره . ونظراً إلى أنه رعية نمساوية فقد كان معرضاً لأن يستدعى إلى الخدمة العسكرية فى جيش النمسا لذلك فقد بادر بأن قدم التماساً إلى حكومة بافاريا يطلب فيه بأن تكون خدمته العسكرية فى فرقة حكومة بافاريا بالقوات الألمانية فقبل التماسه والحق بسلاح المشاه وأرسل إلى الجبهة الغربية فى أكتوبر سنة ١٩١٤ . بقى هتلر على الجبهة الغربية أربع سنوات وقال بأنه أشترك خلال تلك المدة فى سبعة وأربعين أشتباكاً وجرح مرتين وحصل على الصليب الحديدى مرتين . فى خلال تلك المدة (فى ٧ أكتوبر سنة ١٩١٦) أصيب هتلر بشظية من قذيفة ونقل إلى المستشفى فى المانيا . يقول هتلر بأنه فى فترة إقامته بهذه المستشفى جاءه الإلهام بأن روح القومية الألمانية التى طالما أستولت على تفكيره ومشاعره آخذه فى الانحلال والتدهور تحت ضغط ظروف الحرب القاسية ويضيف بأنه عندما خرج من المستشفى أنتقل إلى ميونيخ للاستشفاء وهناك لمس الروح المعنوية المتدهورة بين العسكريين والمدنيين على السواء ولاحظ أيضاً بأن اليهود قد شددوا من قبضتهم على حياة الشعب الألمانى الاقتصادية .

أعيد هتلر إلى الجبهة الغربية فى شهر مارس سنة ١٩١٧ وازداد قلقه وكثرت مخاوفه عندما وصلت الإشاعات إلى الجبهة فى صيف سنة ١٩١٨ عن تصدع الجبهة الداخلية فى ألمانيا .

فى ١٣ أكتوبر سنة ١٩١٨ ضربت كتيبة هتلر بقنابل الغازات السامة

من الطائرات البريطانية وسرعان ما أصيب هتلر ونقل فوراً بعيداً عن جبهة القتال للعلاج من خطر فقدانه لبصره . وفى فترة بقائه بالمستشفى للعلاج من هذه الإصابة جاءته الأنباء باندلاع الثورة فى ألمانيا وإمضاء الهدنة . يقول هتلر بأنه عندما سمع بتلك الأنباء « لأول مرة منذ أن وقفت بجوار قبر والدتى . . . بكيت » .

عاد هتلر إلى ميونيخ لكى يلتحق بكتيبته وليجد الاضطرابات فى كل مكان ولا يدرى أحد شيئاً عن هدف الثوريين الذين أستقطوا الحكومة العسكرية وأرغموها على أمضاء الهدنة .

بدء أتصال هتلر بالنشاط السياسى :

فى تلك الفترة عين هتلر « ضابط تعليم » وكانت مهامه الأساسية أن ينقل إلى رؤسائه أولا بأول النشاط الحزبى ونموه فى ميونيخ ، وبذلك أصبح هتلر « وكيل مخابرات سياسية » وفى أداء هتلر لعمله الجديد توجه ذات ليلة إلى أجتماع ضم خمسة وعشرين شخصاً عقد فى غرفة خاصة من محل لشرب البيرة فى ميونيخ اسمه (Sternecker Beer Haus) وكان من المقرر أن يستمع المجتمعون إلى خطاب من مهندس أسمه (جوتفريد فيدر). كان غرض هتلر من حضور الاجتماع هو أن يقف على نوعية الحاضرين من تلك الجماعة التى أسمت نفسها « حزب العمال الألمانى » . بعد أن أستمع هتلر إلى الخطب لساعات طويلة أصابه الملل فهم بمغادرة الاجتماع عندما بدأ أحد الذين يطلقون على أنفسهم لقب بروفسور بالخطابة طالباً أن ترفض بافاريا البقاء ضمن المانيا وتعمل على الانضمام إلى النمسا وكانت فرنسا تغذى هذه الدعوة فى جنوب ألمانيا . لم يحتمل هتلر أن يسمع تلك الدعوة التى تحطم مشاعره وأحلامه فى تجميع الجنس الألمانى كله تحت لواء دولة واحدة فصاح بكل عنف يعارض كلام الخطيب ثم أخذ طريقه هارباً من الغرفة إلى خارج المحل خشية أن يعتدى عليه المجتمعون .

لشدة دهشة هتلر عندما وصلته بعد هذا الحادث ببضعة أيام تذكرة بريدية مكتوب عليها إخطار من « حزب العمال الألمانى » بأنه قد أنتخب

عضوا به . وجد هتلر فى هذا الأخطار إساءه إليه لأنه لم يفكر مطلقاً فى الانضمام إلى هذا الحزب ولا إلى غيره ولكنه فى الوقت نفسه كان تواقاً إلى أن يكون لنفسه حزباً يدعو إلى المثل العليا للجنس الألمانى وسموه على الأجناس الأخرى وإلى إقامة دولة السلطة .

كان من المقرر أن يعقد حزب العمال الألمانى أجتماعه الأسبوعى التالى فى مطعم متواضع جدا . توجه هتلر إلى الاجتماع بدافع حب الاستطلاع لا بدافع الرغبة فى المشاركة فوجد بانتظاره أعضاء الحزب وعددهم أربعة . قوبل هتلر بترحيب حماسى من الأربعة وطلبوا إليه أن يقبل عضوية اللجنة التنفيذية للحزب ، قرأ أحدهم تقريراً عن ميزانية الحزب وتبين منها بأن هذا الرصيد يبلغ سبعة ماركات ونصف .

يقول هتلر بأن كافة الإجراءات التى أتخذوها فى ذلك الاجتماع كانت تدعو إلى الضحك ، ولو كان يعرف فى ذلك الوقت قصة السبعة ترزية فى شارع « تولى » بلندن الذين أصدروا مانيفستو بدأ بجملة « نحن شعب بريطانيا » لكان قد وجد نفسه فى هذا الاجتماع شبيهاً تماماً لهذا المانيفستو لا سيما وأن بطاقته فى حزب العمال الألمانى هذا كانت تحمل رقم ٧ . تدخل القدر ، تلفت هتلر من حوله فى هذا المكان الذى يحيطه البؤس من كل جانب ورأى هؤلاء الرجال البؤساء يمتلأون حماساً لإعادة بناء ألمانيا التى أنهارت فعقد فوراً العزم على أن يجعل من هذا الحزب (حزب العمال الألمانى) النواة لإنشاء قوة ضخمة تغير مسيرة تاريخ أوربا ، وأن يهيأ له هذا الحزب منبراً لتحويل الشعب الألمانى إلى شعب يتقد حماساً للمثل العليا التى أستولت على تفكيره .

ظل حزب العمال الألمانى يجتمع لعدة أشهر ولا يتقدم خطوة ولا يزيد عدد أعضائه على السبعة إلى أن تمكن من الإعلان عن أجتماع عام حضره مائة وأحد عشر شخصاً تكلم فيه هتلر لمدة نصف ساعة فاستولى على مشاعر الحاضرين ودفعهم الحماس مع حاجتهم إلى التبرع للحزب بثلاثمائة مارك

لتنظيم شئونه ، والأهم من ذلك كله أنهم قد أكتشفوا بأن هتلر كان خطيباً بارعاً .

فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٠ أعلن هتلر عن أجتماع عام فى ميونيخ حضره ألفان . عندما بدأ هتلر يتكلم قابلوه بالعداء وعندما أنتهى من خطابه كان الحماس له قد أستولى عليهم . أعد هتلر فى هذا الاجتماع برنامجاً للحزب من خمس وعشرين نقطة أولها وحدة كافة الألمان وثانيها الحقوق الوطنية لكافة الألمان ورفض معاهدة فرساى . أما بقية البرنامج فكانت تتضمن مبادىء أشتراكية لم تجد سبيلها للتطبيق فى سياسة الحزب النازى ومنها إلغاء الدخول التى لا تنتج عن الكسب نتيجة العمل ومصادرة المكاسب الناتجة عن الحرب وتأميم شركات الاحتكار .

أخذ الحزب ينمو فى الثلاث سنوات التالية وزاد عدد أعضائه ، وكان هتلر يرى بأن يقوى قاعدة الحزب أولا فى ميونيخ قبل أن ينقل الدعوة إلى كافة أنحاء المانيا .

فى سنة ١٩٢٢ رأى هتلر أن يكون فرق العاصفة لكى تتصدى لهجمات الشيوعيين على أجتماعات الحزب . وفى شهر أكتوبر من نفس العام بعث بثمانمائة رجل من فرق العاصفة إلى بلدة « كوبورج » التى كانت معقلا للشيوعيين لحماية أجتماع عام للحزب قرر أن يعقده فى ميدان يقع وسط المدينة . أشتبك رجال فرق العاصفة فى معركة دامية مع الشيوعيين ولما رفض عمال السكك الحديدية بعد هذه المعركة أن ينقلوا رجال فرق العاصفة فى طريق عودتهم إلى ميونيخ هدد هتلر بأن يقبض على أربعة وعشرين من عمال المحطة وأن يأخذهم معه كرهائن فى قطار سيتولى رجال فرق العاصفة قيادته بأنفسهم مع ما فى ذلك من مخاطر حملهم مسئولياتها فرضخ عمال السكك الحديدية لمطالب هتلر .

كان هتلر قد وصل فى ذلك الوقت لأن يكون الشخصية السياسية الأولى فى بافاريا التى بإمكانها أن تتصدى بقوة لأعمال العنف التى يثيرها الشيوعيون الذين نشروا الذعر فى ولاية ساكسونى فبادر أصحاب الأعمال والمصانع

والمنشآت بالتبرع بسخاء لهذا الحزب الجديد الناشىء دفاعاً عن أنفسهم .

هتلر يفشل فى القيام بانقلاب ويحاكم ويدخل السجن :

فى سنة ١٩٢٣ أعلن هتلر الثورة على حكومة برلين متهماً إياها بالضعف والفساد . فى شهر نوفبر من نفس العام جمع فرق العاصفة التى نظمها وأعلن نفسه رئيساً لجمهورية ألمانيا الجديدة وعين « فون كار » رئيس حكومة بافاريا نائبا له فى ميونيخ ، كما عين الجنرال لودندورف وزيراً للحربية غير أن فون كار تخلى عنهما وبقى هتلر ولودندورف ينظمان مسيرة ضخمة لفرق العاصفة بقمصانهم البنى فى شوارع ميونيخ . أطلق البوليس النار على المسيرة فقتل خمسة عشر منهم (اقيمت لهؤلاء الخمسة عشر مقبرة كبيرة فى ميونيخ فى نفس المكان الذى سقطوا فيه) .

كان من بين أعوان هتلر فى حركة سنة ١٩٢٣ هذه الماريشال جورنج وكان فى ذلك الوقت ضابطاً برتبة كابتن فى سلاح الطيران الألمانى المسرح بعد أنتهاء الحرب ، كما كان منهم من تولوا مناصب كبيرة عندما تولى هتلر حكم ألمانيا . بعد يومين من تلك المسيرة قبض على هتلر فى فيلا كان قد أختبأ فيها وكان معه حينئذ أحد أعوانه المقربين جداً إليه الذين أرتفعوا بعد ذلك إلى أعلى درجات النفوذ بعد هتلر نفسه ثم أعدم وأسمه (أرنست روهم) Ernest Roehm

فى مطلع عام ١٩٢٤ وجهت إلى هتلر تهمة الخيانة وقدم إلى المحاكمة ولكن القضاء أعلنوا بأنهم أستعملوا معه الرأفة نظراً لنواياه الوطنية السليمة واكتفوا بالحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات فى قلعة « لاند زبرج » . بعد أن دخل هتلر السجن بدا وكأن حركته قد قضى عليها ، فقد كان هو زعيمها ورأسها المفكر وخطيبها البارع ، فتشتت الكثيرون من أعوانه وتفرقوا .

فى أنتخابات مجلس النواب (الرايشستاج) فى شهر مايو سنة ١٩٢٤ حصل حزب هتلر (الآن أسمه النازى) على مليون وتسعمائة ألف صوت

(٣٢ مقعدا) غير أنه فى أنتخابات شهر ديسمبر من نفس العام ، وبعد أختفاء شخصية هتلر الساحرة ، حصل الحزب على ٨٤٠ ألف صوت فقط (١٤ مقعدا) .

أفرج عن هتلر بعد ثمانية أشهر فقط من دخوله السجن كتب خلالها كتابه المشهور Mein Kampf (عقيدتى) وهو الكتاب الذى أصبح فيما بعد الكتاب المنزل لحركة النازى . هذا الكتاب عبارة عن مزيج من تاريخ حياته ورسالته السياسية .

بعد أن أفرج عن هتلر فى أواخر عام ١٩٢٤ بدأ فى تنظيم (الحزب النازى) على أسس قومية بحيث تشمل برامجه كافة مصالح مختلف الطبقات وذلك لكى يكسب تأييد أصحاب الثروة والنفوذ كما يحصل على تأييد الطبقة الوسطى . تولى أثنان من أعوانه المرموقين وهما دكتور جوبلز و « جريجور شتراسر » تقديم برنامج الحرب فى مفهومه الاشتراكى إلى طبقة العمال والمهنيين (كان الأول قد تخرج فى كلية للجزويت فى منطقة الراين لاند ، والثانى كان من الشيوعيين ثم أنفصل عنهم وأنضم إلى هتلر) .

كان نمو الحزب النازى بطيئاً ولكن مستمراً فقد بلغ عدد أعضائه المسجلين فى نهاية سنة ١٩٢٦ مائة ألف عضو .

وجدت الحركة الشيوعية بالمانيا فى الحزب النازى خصماً يحسب حسابه وبدأت الاشتباكات بين الشيوعين وأعضاء الحزب النازى وأستمرت دون هوادة لمدة خمس سنوات خسر فيها الحزب النازى أربعمائة قتيل وثمانية وأربعين ألف جريح . وفى تلك الأثناء كان هتلر ينتقل من بلد إلى بلد ليلقى خطاباً مساء كل يوم ولم تكن براعته فى الإلقاء هى وحدها التى تستولى على مشاعر سامعيه وما يقدمه إليهم من حجج ليكسب تأييدهم بل كان قادراً على أن ينفذ إلى مشاعرهم فكان يقدم إليهم كل ما يراه منسجماً مع تفكير الألمانى ، قدم إليهم المواكب والشعارات والسترات اليونيفورم حتى يقنع الشعب بحسن تنظيم الحزب وقوته .

لم يتمكن الشيوعيون من منافسة النازى فى تنظيم رفع الأعلام ولا فى تنظيم طوابير الشباب لابسى اليونيفورم النازى الذين يرفعون أيديهم بالتحية على الطريقة الرومانية ويهتفون « هايل هتلر » الأمر الذى كان يلهب شعور وخيال الشعب قبل أن يعتلى هتلر منبر الخطابة . حاول الشيوعيون أن يقلدوا ما أبتدعه هتلر فى تنظيم أعوانه من الشباب ولكنهم لم يوفقوا .

كان هتلر حذراً فلم يحاول أن يضفى على طوابير شباب النازى الطابع العسكرى إذ كان هو شخصياً لا يرتدى سوى معطف المطر فى كافة الاجتماعات التى تعقد فى الهواء الطلق والقميص البنى السادة أثناء الاجتماعات التى تعقد بالداخل شأنه فى ذلك شأن أقل شاب رتبة فى صفوف شباب الحزب.

كان هتلر ساحراً عندما يخطب ، كان يثير مشاعر سامعيه عندما يركز على ضرورة استعادة المانيا لاحترام العالم . كانت كلمات هتلر تجد صدى بعيداً فى نفوس جماهير الشعب ولا سيما وسط ما كان يعانيه من خيبة الأمل بعد التضحيات الضخمة التى قدمها طوال سنوات الحرب . كان هتلر يذكر سامعيه بأن الألمان لا يزالون هم الارستقراطيون من بين الأجناس وأنهم قد توجوا بلادهم بأكاليل الغار والنصر على مدى أربع سنوات فى حرب ضارية مع العالم بأسره وأن هزيمتهم تعزى فقط إلى الخيانة فى صفوف القوات وأن أسباب هذه الخيانة تقسم بالتساوى بين الشيوعيين واليهود . لم يتعود الشعب الألمانى سماع هذه النغمة من قبل ولم يكن قد سمع من أحد من قبل بأن هزيمته فى الحرب تعزى إلى خيانة اليهود والشيوعيين . كان هتلر يكرر لسامعيه « أنتم المان ، سادة الرجال فى العالم ، اتحدوا واتبعونى ، أن قدرا عظيما ينتظركم » .

فى خريف سنة ١٩٣٠ تبين بأن هتلر قد اصبح قوة سياسية فى المانيا لا يمكن تجاهلها ، ففى انتخابات ١٤ سبتمبر حصل مرشحوه على ستة مليون وخمسمائة ألف صوت (١٠٧ مقعدا) فى الرايشستاج ، كما قرب عدد المقيدين كأعضاء فى الحزب من المليون .

لجأ هتلر إلى طلب المعونة المالية من كبار رجال الصناعة الألمانية فى دوسلدورف فقدموا إليه عدة ملايين من الماركات لتدعيم مالية الحزب .

فى ربيع سنة ١٩٣٢ تقدم هتلر لينافس هندنبورج فى انتخابات رئاسة الجمهورية ولكنه لم يحصل إلا على ثلث أصوات الناخبين .

بعد أن انتخب هندنبورج رئيساً للجمهورية عين « فون بابن » رئيساً للوزراء فعرض فون بابن على هتلر أن يكون نائباً لرئيس الوزراء ولكنه رفض وجند كل قواه لمهاجمة الحكومة . لم يلبث فون بابن فى منصب رئيس الوزراء طويلا إذ خلفه فى منصبه الجنرال « فون شليشر » الذى حاول أن يقسم الحزب النازى على نفسه وذلك بأن عرض بعض المناصب الوزارية على بعض شباب الحزب ولكن فون بابن أراد أن ينتقم لنفسه من خليفته فطالب الرئيس هندنبورج بأن يحافظ على الوحدة الوطنية وذلك بأن يدعو هتلر لكى يتولى منصب رئيس الوزراء .

لما وجد فون بابن بأن الماريشال هندنبورج متردداً فى تعيين شخص لم يصل حتى إلى رتبة ملازم رئيساً للوزراء عرض على هندنبورج استعداده لأن يقبل منصب نائب رئيس وزراء تحت رئاسة هتلر .

فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ استقال الجنرال فون شليشر فاستدعى الماريشال هندنبورج الهرأدولف هتلر لكى يكون رئيساً للوزراء فى حكومة المانيا .

هتلر فى منصب رئيس حكومة ألمانيا :

لم يكن يعزى وصول هتلر لمنصب رئيس الحكومة إلى قوة حزبه بمفرده ولذلك فقد طلب هتلر أن يثبت مركزه بانتخابات عامة . كانت المخاوف تسيطر على طوائف كثيرة من الشعب الألمانى من انتفاضة ثورية يقوم بها الشيوعيون . فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٣ شب حريق كبير فى دار الرايشستاج (البرلمان الألمانى) وعزيت أسبابه إلى فعل الشيوعيين . حصل هتلر فى الانتخابات العامة التى أجريت بعد هذا الحادث بأسبوع على سبعة عشر

مليون صوت وبذلك ثبت توليه السلطة بأغلبية شعبية ساحقة . بقى الرايشستاج ولكنه بقى لكى يصدق على القوانين التى يصدرها هتلر ، وأصبح هتلر حاكماً مطلقاً لألمانيا . أحب الشعب الألمانى هتلر وأعجب به لأن المزاج الألمانى يحترم السلطة ويعجب بها وهو أسعد ما يكون حالا فى جو النظام التام حتى ولو استعملت أشد الأساليب عنفاً فى إقراره .

أصبح هتلر فى واقع الأمر حاكم المانيا الفعلى ، فقد جمع فى يده سلطات رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ورئيس الحزب ، وأصبح الحاكم المطلق فى أعظم دولة أوربية بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخ أوربا الحديث . لقد كان الشعب الألمانى مقتنعاً بسلامة تفكيره وقدراته بشكل لم يسبق لشعب عظيم مثل الشعب الألمانى أن وضع ثقته الكاملة على هذه الصورة فى شخص واحد .

اتخذ هتلر منذ أن تولى الحكم إجراءات غاية فى العنف لتثبيت سلطانه فلم يتردد فى أن يقضى بإعدام زميله وصديقه « أرنست روهم » قائد قوات العاصفة وعدداً من قادة قوات العاصفة بعد أن اتهمهم بالتآمر على نظام حكمه ونفذ فيهم حكم الإعدام يوم ٣٠ يونية سنة ١٩٣٤ ، كما أعدم الجنرال « فون شليشر » رئيس الوزراء السابق بتهمة التآمر مع دولة أجنبية ، وفى بيانه إلى الرايشستاج عن حركة التطهير الدموية هذه قال بأنه « قد تولى بنفسه أن يكون المحكمة العليا لألمانيا لمدة أربع وعشرين ساعة » وأنه لن يتردد فى أن يعيد اتخاذ نفس الإجراء إذا ما شعر بأى تآمر ضد حكومته .

تقبل أعوان هتلر تلك النظرية التى مارسها هتلر فى أن يكون القول الفصل بين الحياة والموت ولم يأبه الشعب الألمانى بما اتخذه من إجراءات ورأى بأنها « إجراءات قاسية ولكنها ضرورية » .

عندما يكون هتلر فى برلين كان يقيم ويعمل فى قصر رئيس الحكومة فى « فلهلم شتراسه » ونادرا ما يستعمل مكتبه فى قصر الرئاسة الذى يبعد عنه قليلا فى نفس الشارع لأنه عندما مات الرئيس هندنبورج فى سنة ١٩٣٤ كان هتلر يريد ابعاد ذكريات رئاسة جمهورية المانيا بقدر الإمكان .

لم يكن هتلر يميل إلى البقاء فى برلين طويلا وكان يفضل ميونيخ أو برختسجادن وهى قرية فى جنوب بافاريا قريبة جداً من الحدود النمساوية أقام بها فيلا يقضى فيها وقتاً طويلا من حياته ، وتدير شئون الفيلا شقيقته « باولا هتلر » .

حياة هتلر فى برختسجادن :

كان هتلر لا يهدأ إلا عندما يأوى إلى الفيلا التى أقامها فى برختسجادن ، وكانت هذه الفيلا تشمل — ضمن ما تشمل — على جناح به خمس غرف لا يسمح لأحد بأن يصورها ويطلق عليها « غرف النجوم » ولم يكن يسمح لأحد بالدخول إليها . تقول خادمة هتلر « بولين كوهلر » بأن هتلر كان يقضى ساعات طويلة بمفرده مع « كارل أوسيينز » Karl Ossietz المنجم الفلكى الخاص له . سقف الغرفة الرئيسية فى هذا الجناح مصنوع من زجاج أزرق داكن تنعكس عليه حركات الكواكب والنجوم بعد الضغط على مفتاح خاص . على جدران الغرفة رسمت صور ورموز بروج السماء الإثنى عشر (الزوديك) . غرفة ثانية لا يوجد بها أى ضوء سوى بصيص من ضوء يأتى من نار موقد صغير يشتعل ليل نهار ، وقد اعتاد هتلر أن يقضى فى بعض الأحيان ساعات وساعات يحملق فى وهج نار هذا الموقد ويجول ببصره فى كرة أرضية ضخمة من الكرستال ويقال بأنه بذلك يحاول أن يستكشف المستقبل من خلال تبدل الظلال على سطح تلك الكرة الكرستال الضخمة .

« كارل أوسيينز » هذا كان رجلا فى منتصف العمر لا يعلم بوجوده بجوار هتلر سوى عدد قليل جداً ولم يكن يسمح بذكر اسمه على الإطلاق فى كافة أنحاء المانيا بواسطة أى جهاز من أجهزة الدولة ، وربما كان هذا الرجل أهم رجل على الإطلاق فى دولة الرايخ الألمانى الثالث بعد هتلر نفسه . لم يعرف كيف اهتدى هتلر إلى هذا الرجل وكل ما عرف عنه أنه قد حضر إلى برختسجادن يوماً ما ولم يتركها منذ ذلك اليوم ، ولقبه العدد القليل جداً الذى علم بوجوده بـ « راسبوتين المانيا النازيه » . قال هذا الرجل بأنه قادر

على استكشاف المستقبل من حركات الكواكب والنجوم واقتنع هتلر بقدرته على ذلك . كان هتلر شديد الاعتقاد فى الفأل الحسن والفأل السيء ، وكان يستشير النجوم قبل أن يقدم على أى عمل هام حتى لقد قيل بأنه يفضل الاستماع إلى نصيحة « أوسبيتز » عن الاستماع إلى نصائح هيئة أركان حربه ، وقد جمع له هذا المنجم الفلكى أكبر مجموعة عرفت فى العالم حتى يومنا هذا من المؤلفات عن السحر واستكشاف الحظ .

كان هتلر يعتقد بأن اللون الأحمر هو اللون الذى يجلب له الحظ الحسن ، وقد اختار لهذا السبب الصليب المعقوف (سواستيكا) شعاراً له عندما قرأ بأنها كانت علامة هندوسيه قديمة تجلب الحظ الحسن ، لكن هتلر أخطأ عندما رسمها بالمقلوب فقال المنجمون بأنها أصبحت رمزاً للشر .

لما كان المعروف عن هتلر بأنه لا يتناول المشروبات الكحولية على الاطلاق فقد كان « أوستيز » يعد له بنفسه شراباً خاصاً من تركيبه ولم يكن أحد يدرى نوع هذا الشراب ، وقد سماه المحيطون بهتلر فى برختسجادن « تونيك أدولف » وهو شراب وردى اللون يقوم « أوستيز » بتركيبه فى معمله ويعبئه فى زجاجات رفيعة تعود هتلر أن يشرب ثلاث زجاجات منها يومياً ، ولا يعلم أحد حتى يومنا هذا ما هو الأثر الذى كان يحدثه هذا المشروب على جسد هتلر . كان من هوايات هتلر أن يتطلع إلى الخرائط المفصلة الضخمة لكافة أنحاء العالم فى غرفة خاصة كان يقضى فيها وقتاً طويلا . كان يحتفظ فى تلك الغرفة بخريطة كبيرة مفصلة لمدينة لندن مبيناً عليها مساكن كبار البريطانيين ، كما كانت بها خريطة مجسمة لألمانيا وأواسط أوربا صنعت من البرونز ووضحت عليها حدود ألمانيا بخطوط رسمت بمادة من صمغ العنبر الذى أخذ من شواطئ بروسيا الشرقية ، وكان هتلر يهوى الوقوف أمام تلك الخريطة وبيده مؤشر ويلقى محاضرات على كبار أعوانه عن عظمة ألمانيا وضرورة توسيع حدودها باستمرار . كان من اهتمامه الشديد بقراءة كتب الجغرافيا السياسية أن كان يطلع على كتب الجغرافيا التى تدرس للتلاميذ فى المدارس ويبدى ملاحظاته عليها .

من إجراءات الحراسة التى كانت تتخذ حول مقر هتلر فى « برختسجادن »

بالإضافة إلى الإجراءات المعتادة من مدافع مضادة من كل نوع والغام أرضية وأبواب ذات عيون سحرية فقد وضع على مكتب هتلر زرار يكفى لمسه حتى تمتلأ كافة غرف الفيلا – فيما عدا مكتب هتلر – بالغازات المسيلة للدموع فى الوقت الذى يندفع فيه مائة من الحراس الذين اختيروا اختياراً خاصاً ، والذين يقفون دائماً على أهبة الاستعداد قريباً من الفيلا – نحو الفيلا نفسها وهم مسلحون بأسلحة أوتوماتيكية وقنابل يدوية .

من مخدع هتلر فى الفيلا يوجد مصعد يهبط تحت سطح الأرض إلى مسافة تقرب من المائة متر حيث يوجد مسكن مكون من ست غرف وملحقاتها جهزت بكل وسائل الراحة والمعيشة ، وقد أعدت لتكون مخبأ مكيف الهواء به مورد خاص للمياه وملحق به غرفة لتخزين مأكولات محفوظة تكفى أربعة أشخاص لمدة ثلاثة أشهر .

على مقربة من الفيلا فى برختسجادن وعلى ارتفاع ستة آلاف قدم فى أعلى قمة جبل « كيلشتاين » (Kehlstein) بنى لهتلر مأوى من الصلب والزجاج وكان يطلق عليه اسم « عش النسر » . كان الوصول إلى هذا المأوى بواسطة مصعد نحت له ممر فى الجبل . كان هذا المأوى مكوناً من غرفتين فقط ، واحدة تستخدم كمطبخ والثانية عبارة عن غرفة فسيحة جداً بنيت حيطانها من الزجاج السميك وبها تلسكوب يتطلع هتلر من خلاله إلى الفضاء السماوى . كان من عادة هتلر أن يقضى ساعات بتلك الغرفة عندما كان يخطط لفتوحاته ويقال بأن شخصيتين فقط استقبلهما هتلر فى ذلك المأوى ، أحدهما الكونت تشانو وزير خارجية إيطاليا وزوج ابنة موسوليني والثانية هى « ميس يونيتى ميتفورد البريطانية » (Miss Unity Mitford) ، وهذه الفتاة البريطانية كانت كثيرة التردد على برختسجادن ضيفاً على هتلر ، وكانت من أشد المعجبين به وهوايتها أن تلتقط له صوراً بآلة فوتوغرافية كان قد أهداها لها ، وكانت الأجنبية الوحيدة التى أهداها هتلر شارة الـ (سواستيكا) وقد صنعت من الذهب . على أحد وجهيها الصليب المعقوف وحفر إمضاء هتلر على الوجه الآخر .

قال بعض المؤرخين بأن هتلر ربما يكون قد بنا هذا المأوى ليرقد فيه بعد وفاته كما يرقد لينين فى الميدان الأحمر بموسكو .

كان من عادة هتلر أن يستضيف بعض رجال الحكم وبعض أصدقائه المقربين فى مقره فى برختسجادن فكان كل ضيف يجد فى غرفته ورقة مطبوعة بها التعليمات التالية :

١ — لا يسمح بالتدخين إلا فى هذه الغرفة فقط .

٢ — يجب على الضيف أن لا يتحدث إلى الخدم أو أن يحمل أية رسالة أو أى طرد من أى خادم .

٣ — فى جميع الأحوال يجب أن يقال « الفوهرر » ، ولا يجب الحديث عنه بـ « هر هتلر » أو بأى لقب آخر .

٤ — على السيدات الضيوف أن لا يستعملن الكثير من مستحضرات التجميل وأن يمتنعن كلية عن تلوين أظافرهن بأى لون .

٥ — على الضيوف أن يحضروا إلى مائدة الطعام فى مدى دقيقتين من سماع النداء لتناول الوجبات وليس لأحد منهم أن يجلس إلى المائدة أو يغادرها قبل أن يجلس الفوهرر إلى المائدة أو يغادرها .

٦ — ليس لضيف أن يظل جالساً فى غرفة عندما يدخل إليها الفوهرر .

٧ — على الضيوف أن يأووا إلى غرفهم فى تمام الساعة الحادية عشرة مساء إلا إذا طلب إليهم الفوهرر شخصياً أن يبقوا فى حضرته .

٨ — ليس للضيوف أن ينتقلوا من الجناح المخصص لهم إلى الجناح المخصص للخدم أو إلى جناح المكاتب أو إلى جناح الحرس الحديدى أو إلى الجناح المخصص لمكاتب البوليس السياسى .

٩ — محظور كلية على الضيوف — بعد مغادرتهم برختسجادن — أن يتحدثوا إلى أحد عن مدة ضيافتهم أو أن ينقلوا أى حديث أو أية ملاحظة سمعوها من الفوهرر ، وأن الحديث عن الحياة الخاصة للفوهرر إلى أى شخص كان ستقابل بأشد العقوبات .

كان هتلر يحب صحبة النساء الجميلات وكان لا يقيم مأدبة إلا ويدعو

إليها عدداً منهن ، ولكن مآدبه ودعواته كانت مصدر ملل لمدعويه بسبب تحريمه الشراب والتدخين فى حضرته ورغبته فى سماع نفس الموسيقى التى يفضلها هو ولا تتغير أبدا . لم يكن أحد — بطبيعة الحال — يجرأ على الاعتذار عن دعوة يتلقاها من الفوهرر ، ولكن البعض من مدعويه كان يختلس بضع دقائق لكى ينزوى فى مكان بعيد عن نظر هتلر لكى يدخن أو يتناول فى لهفة بعض الشراب .

كان على مدعوى هتلر أن ينصتوا أكثر مما يتكلمون وكانت المناقشة بينهم ممنوعة منعاً باتاً ، كما كان المزاح وإطلاق النكات غير مسموح به على الإطلاق ولا سيما النكات التى تمس ولو من بعيد الحياة السياسية فى المانيا . كان مما يدخل السرور إلى نفس هتلر بصفة خاصة أن تحدثه النساء عن ذكائه السياسى وعبقريته فى الحكم .

أحتياطات للمحافظة على حياة هتلر :

من بين الاحتياطات التى كانت تتخذ لحراسة هتلر والمحافظة على حياته — هى العثور على شبيه له ، وقد تمكن الجستابو من العثور على ثلاثة رجال يشبهون هتلر فى الحجم والشكل . كان من الممكن التفرقة بين هؤلاء الثلاثة وبين هتلر إذا ما دقق العارف البصر عن قرب ولكن بعد أن أعد لهم الجستابو ملابس كملابس هتلر تماماً وبمساعدة أخصائيى المكياج الذين أتقنوا العملية أصبح كل من هؤلاء الثلاثة لا يمكن التفرقة بينه وبين هتلر من على بعد خمسة عشر مترا ، وكان لواحد فقط من بين هؤلاء الثلاثة صوت قريب الشبه بصوت هتلر .

كان الجستابو يسكن واحداً من هؤلاء الثلاثة فى برختسجادن والثانى فى ميونيخ والثالث فى برلين وكل منهم على استعداد للانتقال إلى أى مكان فى ألمانيا أو النمسا . كانت أولى مهام هؤلاء أن يقف الواحد منهم فى المناسبات البسيطة عندما لا يكون ضمن البرنامج القاء أى خطاب ، وبصفة خاصة عندما يشك الجستابو بأن عملية ما تدبر للاعتداء على حياة الفوهرر . كان الثلاثة يتبادلون الأمكنة الثلاثة وكان يطلق على أحدهم « ويللى الصغير »

والثانى « بسمارك العجوز » ، والثالث « بوتسى » ، وقيل بأن بوتسى هو الوحيد الذى تعرض للاعتداء فى محاولة لاغتيال هتلر فى ميونيخ وكان يجلس فى سيارة واحدة مع جورنج وهملر وقد أصابته رصاصة فى كتفه ولكنه عولج وشفى وكوفئ بخمسة آلاف مارك .

تروى قصة عن خطأ وقع فيه الجستابو عندما أرسل أحد هؤلاء الثلاثة إلى فرانكفورت ثم عدل هتلر من برامجه وقام بزيارة محافظ بافاريا فى ميونيخ فى نفس الوقت وكان أن نشرت الصحف فى فرانكفورت وميونيخ فى طبعاتها الأولى فى صباح اليوم التالى بأن هتلر قد زار فرانكفورت وميونيخ فى يوم واحد ووقت واحد . عوقب المسئولون من رجال الجستابو على هذا الخطأ . كما تروى قصة غرام « ويللى الصغير » بإحدى خادمات هتلر التى بادلته الغرام ولكن ويللى الصغير كان يعلم بأنه قد قطع كل صلة له بالعالم الخارجى وأنه لا سبيل له للخروج من قبضة الجستابو ولا من القفص الحديدى الذى قبل أن يودع فيه طول حياته .

كان القلق يستولى دواماً على هتلر من دس السم له فى الطعام ، وقد اتخذت احتياطات غاية فى الدقة لتفادى ذلك لاسيما وأنه كان لا يعتقد فى جدوى أن يخصص له شخص يتناول جانباً من طعامه قبل أن يتناوله هو لأن السم قد يكون بطئ المفعول ، ولذلك كانت الرقابة على المطبخ فى غاية الصرامة ولا يسمح لكائن من مكان بأن يقترب من مكان إعداد الطعام ، ويعد الطعام أشخاص معروفون تحت رقابة رجال الجستابو الذين يتناولون هذه الرقابة بالمطبخ على مدى الأربع والعشرين ساعة .

كان هتلر نباتياً وكان دقيقاً جداً فى كل ما يقدم إليه من طعام وفى كيفية تقديمه إليه ولم يكن من بين خدمه وحاشية مسكنه أجنبياً إلا واحداً هو « رودى فانيور » رئيس الطهاه وهو مجرى وقد استخدمه هتلر ومنحه الجنسية الألمانية ومرتباً ضخماً لأنه يعتبر أكبر الأخصائيين فى طهى الطعام للنباتيين فى أوربا .

كان هتلر يرتدى قميصاً مصنوعاً من الجلد الصلب الرقيق الخاص الذى

لا ينفذ منه أى رصاص مهما كان قوياً كلما خرج أمام الجماهير ، وقيل بأن هذا القميص قد أنقذ حياته مرتين .

حالة هتلر الصحية :

كان هتلر ضعيف البنية وكانت الحبال الصوتية فى حلقه مصدر متاعب له ، كما كان قلبه مصدر قلق دائم إذ كان من النوع الذى يطلق عليه الأطباء « القلب التعبان » ومن طباع هتلر أنه كان لا يطيق أن يسمع شيئاً عن مرض الآخرين ، وكان عزوفاً كلية عن رؤية أى شخص مريض حتى ولو كان صديقاً مقرباً . مما يروى عنه أنه كان يعامل أطباءه معاملة سيئة غير لائقة بمراكزهم وكانوا يفسرون هذه الظاهرة بأنه — وهو الذى لا يريد أن يظهر بمظهر الضعيف أمام أى مخلوق — يفقد القوة وهو بين أيديهم ويصبح إنساناً لا حول له ولا قوة ، ولذلك فهو يعود ليغالى فى إظهار قوته بعد أن يفلت من أيديهم . كان إذا طلب منه الأطباء أن يتناول دواءا أو أن يستعد لكى يتلقى حقنة كان يصمم على أن يتناول الطبيب نفس الدواء قبله وأن يحقن بنفس نوع الحقنة قبله . كان أكثر من يضايقه من الأطباء هو طبيب الأسنان ولسوء حظه كانت أسنانه فى حالة سيئة جداً فكان زبوناً دائماً لأخصائى الأسنان الدكتور « هارتنشتاين » الذى كان يعانى كثيراً من مريضه المخيف ، هذا المريض الذى كان يثور ولا يقبل التخدير من أى نوع إلا إذا لم يكن هناك بد منه . وقد تحقق الحلفاء من موت هتلر بشهادة أخصائى الأسنان هذا الذى تعرف على فكى هتلر من بين الرماد وكانا يحملان ثمان أسنان صناعية قام هو بصناعتها وعدد من الأسنان الذى قام هو بحشوها .

كان هتلر يعانى من قلة النوم فكان كثيراً ما يستدعى صديقه لاعب البيانو المشهور « هانفستنجل » ليلعب له موسيقى شوبان أوفردى وخاصة موسيقى بيتهوفن وفاجنر لكى ينام إذ كانت الموسيقى بالنسبة لهتلر مثل المخدر . وقد حير أرق هتلر تفكير الأطباء فكان لا يسمع عن علاج للأرق مهما كان فى أى بلد من البلاد إلا واستدعى صاحبه لاستشارته ولكنه كان يرفض على الدوام أن يتناول أى دواء مهدئ للأعصاب والنوم . لعل

أطرف ما حدث فى هذا الشأن هو عندما استدعى طبيب نفسانى سويسرى كان قد أعلن عن علاج نفسانى للأرق . كان هذا العلاج يتطلب تركيب شاشة سينما على سقف غرفة النوم تنعكس عليها صور مياه تتساقط بألوان مختلفة من جهاز مخبأ فى مكان ما . طلب من هتلر أن لا يفكر فى أى شئ وأن يركز نظره على الشاشة . مارس هتلر هذا العلاج لمدة أسبوعين دون أية نتيجة ثم أقلع عنه إلى علاج آخر لطبيب من فينا طلب من هتلر أن يؤدى بعض الحركات الجسمانية فى غرفة نومه قبل أن يأوى إلى فراشه ولكن هذا العلاج أيضا لم يؤد إلى أية نتيجة .

كان هذا الأرق مصدر متاعب أيضا لحاشية هتلر ولمعاونيه المقربين ، ومع ذلك فقد كان هتلر لا يغادر فراشه قبل العاشرة صباحا ونادراً ما يؤدى عملا قبل أن يتناول الغذاء ، وقد يقضى طوال ساعات ما بعد الغذاء فى مناقشات مع زائريه ومستشاريه ولا يبدأ عملا جديا قبل أن ينتهى من العشاء فى الثامنة والنصف مساءا عندما ينتقل إلى مكتبه .

كان عندما ينتهى من أحاديثه مع مستشاريه السياسيين والعسكريين فى الساعات الأولى من الصباح ويستمع إلى معزوفات موسيقية على البيانو وهو مستلق على كرسيه لكى يغلبه النعاس قبل أن يأوى إلى فراشه ثم لا يملأ النوم جفونه يعود ثانية إلى مكتبه ويستدعى أحد أفراد حاشيته أو يوقظ أحد ضيوفه لكى يحضر إليه ، فإن كان مزاجه لا يسمح بالحديث إلى أحد استقل سيارته وخرج للنزهة فى آخر ساعات الليل ، لم يكن يقود سيارته بنفسه ولكن كان يأمر السائق بأن يسير بسرعة كبيرة .

موقف هتلر من الدين :

ولد هتلر كاثوليكيا ونشأ نشأة كاثوليكية ولكن عقيدته الدينية ضعفت فى نفسه منذ شبابه وامتنع عن ممارسة الشعائر الدينية فلم يكن يفكر كثيراً فى كاثوليكيته ولم يكن يعتقد فى جدوى الراحة النفسية من الاعتراف .

منذ أن تولى هتلر الحكم فى ألمانيا أعلنها حربا على كافة رجال الدين من الكاثوليك والبروتستانت واليهود على السواء . يقول البعض بأن الهدف من

حربه لرجال الدين لم يكن الدين نفسه ، بل كانت الضرورات السياسية هى التى دفعته إلى ذلك . كانت فكرته فى توحيد الجنس الجرمانى تطغى على كل مشاعره منذ نشأته ولذلك فقد عمل على إزالة كل تصادم أو تنافس بين القوى من أى نوع للسيطرة على تفكير الشعب الألمانى . كان الفاتيكان فى نظر هتلر مثل اليهودية ، مؤسسة دولية وليست المانية ، وعلى ذلك فيجب أن لا يكون للفاتيكان مكان فى المانيا النازية . كانت العقيدة الهتلرية التى لا فكاك لكل نازى منها هى تطهير المانيا من كل عنصر ليس بألمانى مهما كان حتى يمكن إقامة دولة المانية مائة فى المائة يسكنها شعب المانى مائة فى المائة .

كان هتلر يكره كل ما هو ليس بالمانى مائة فى المائة وفى مقدمة هؤلاء رجال البنوك العالمية والشركات الدولية وبلغت كراهيته الذروة للشيوعيين والاشتراكيين لأنهم يكونون جماعات لها اتصالات دولية ، كما كان ينفر من الذين يدعون إلى السلام ويعارضون الحرب لأنهم يعتنقون مبادئ الدوليـــة .

كان هتلر يرى فى الكاثوليكية خطراً عليه لأنها قوة منافسة لمبادئه ولأنها تشق ولاء الرجل إلى قسمين ، وولاء الألمانى يجب أن يكون مائة فى المائة لمبادئ وزعامة هتلر فقط . كان النازى يسمون القساوسة « الخفافيش السوداء » ، ولم يكونوا يرون فى البروتستانت خطراً داهما كما كانوا يرونه فى الكاثوليك لأن كنيسة لوثر ، على كل حال ، هى كنيسة المانية فى الأصل . كانت تراود هتلر فكرة إنشاء كنيسة بروتستانتيه موحده فى المانيا عندما أصبح موضوع الكنيسة مصدر متاعب له على الدوام . قال هتلر فى خطاب له بمدينة نورمبرج فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥ « لقد نجحت المسيحية فى وقت ما فى توحيد القبائل التيوتونية القديمة ولكن حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى قضت على هذا التوحيد ، أن المانيا الآن دولة موحده لأن الاشتراكية الوطنية قد نجحت حيث فشلت المسيحية » . كان هتلر يقول : « إننا لا نريد آلها سوى المانيا فقط » . لقد كانت المانيا هى دين هتلر .

كان هتلر يغضب عندما يقولون له بأن السيد المسيح كان يهوديا ،

ولم يكن يحتمل أن يقول المسيحيون أو اليهود ذلك ، ولذلك أنكر النازى بأن السيد المسيح كان يهوديا .

لما كان أساس الثورة النازية هو هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الأولى فقد كان هتلر يؤمن بأن النازية يجب أن تسيطر على الدين لأن الإله الذى سمح للفرنسيين وغيرهم من الأجناس المنحطة بأن يهزموا المانيا لا يمكن أن يرضى به الألمان إلها لهم .

أما كراهية هتلر لليهود فقد كانت ترتكز على أسباب اقتصادية وأخرى سياسية ، قال هتلر عن اليهود بأنهم يغتصبون فرص العمل من الألمان ، كانوا يحتكرون صحافة برلين ويحتكرون المسارح وكافة أنواع الفنون ، كان من بين المحامين والأطباء والأساتذة عدد كبير من اليهود ، قال عنهم هتلر أنهم « وباء أكثر شراً من الطاعون » . لا يمكن لأحد أن يعرف ويقدر مدى كراهية هتلر لليهود إن لم يقرأ كتابه « كفاحى » . لقد كان هتلر يعدل فى تفاصيل بسيطة فى بعض الكتاب كلما أصدر طبعة جديدة منه ولكن كراهيته البالغة لليهود بقيت حية فى هذا الكتاب منذ البداية لم تخمد .

بلغت كراهية هتلر لليهود منذ شبابه أنه كان لا يتحدث إلى يهودى بل أنه كان يرفض هذا الحديث حتى على التليفون . لقد رفض كلية أن يستقبل المعلق الأمريكى المشهور والصحفى العالمى « ولتر ليبمان » والسياسى البريطانى « لورد ريدنج » لأنهما يهوديان . قيل بأن هتلر منذ أن تولى حكم المانيا لم يحضر مجلسا يشترك فيه يهودى ولا تحدث إلى يهودى مهما كان .

تصرفات هتلر نحو المال :

لم يكن هتلر يهتم على الاطلاق بجمع المال إلا فى جمع التبرعات للأغراض السياسية الحزبية ، وفوق ذلك فقد كان يجهل تماما كل ما يتعلق بشئون المال والاقتصاد . منذ أن تولى الحكم كانت تهيأ له الدولة كل ما يحتاج إليه من مأكل وملبس ومسكن . قيل بأن آخر شئ اشتراه فى حياته كان بالطو مطر فى سنة ١٩٣٤ بمناسبة زيارته لموسولينى فى شهر يونيه من ذلك العام ، على عكس موسولينى الذى كان اهتمامه منصبا على مختلف أنواع الملابس العسكرية التى يرتديها .

لم يكن هتلر يتقاضى مرتباً من الدولة ، بل كان يترك مرتبه فى صندوق إعانة العمال الذين يصابون أثناء العمل . كان يمكنه بطبيعة الحال أن يجمع مالا وفيراً لو أراد ولكنه لم يفعل . أعلن هتلر فى أواخر عام ١٩٣٥ بأنه الوحيد بين رؤساء الدول الذى لا يمتلك حساباً خاصاً فى أى بنك أو يمتلك أسهماً أو سندات من أى نوع .

حقق هتلر أرباحاً طائلة من نشر كتابه « كفاحى » ولكنه أعتبر هذه الأرباح ملكاً للحزب النازى . كان الكتاب يباع بما يعادل ثلاثة دولارات وقد بيع منه ما يزيد على المليونى نسخة منذ أن طبع فى سنة ١٩٢٥ ، وصدر منه ما يقرب من الخمسين طبعه فإن كان نصيب المؤلف منه ١٥ ٪ وهذه نسبة متواضعة على أقل تقدير فيكون الكتاب قد حقق أكثر من المليون دولار لهتلر شخصياً .

على كل حال فلم يعرف عن أى دكتاتور أوربى سواء أكان هتلر أو موسولينى أو ستالين بأنه جمع مالا لشخصه أو أنه كان يحمل فى جيوبه نقوداً ليشترى بنفسه أيا من لوازمه .

طباع هتلر وعاداته وصفاته :

لم يكن هتلر من هواة الأطلاع على الكتب ولا من هواة جمع الملابس بل كانت ملابسه على الدوام عبارة عن القميص البنى العادى لفرق العاصفة أو بدلة بصفين زرقاء من الصوف الخشن وعليها معطف مطر وقبعة رخوة .

لم تكن لهتلر هواية خاصة للطعام أو للشراب وهو فى واقع الأمر نباتياً ، وهو لا يتناول المشروبات الكحولية ولا يدخن ولم يكن يحتمل أن يدخن أحد بجواره . حدث فى ١١ فبراير سنة ١٩٣٨ عندما حضر إليه مستشار النمسا « فون شوشنج » فى برختسجادن بناء على استدعائه لكى يناقش معه أزمة أعضاء النازى فى النمسا أن جلس شوشنينج على كرسى أمام هتلر — وكان من عادته أن يدخن كثيراً — وأخرج سيجارة من جيبه وأراد أشعالها فما كان من هتلر إلا أن بادره بأن قال له بشدة « أترك هذه ، إن الموضوع الذى حضرت من أجله أخطر بكثير من أن تدخن وأنت تتحدث عنه » .

تقول خادمة هتلر بأنه كان فى بعض الأحيان يثور ثورة عارمة لأسباب تافهة كأن يجد شيئاً بسيطاً فى غرفته لم يوضع فى مكانه بنظام أو أن كمية القهوة التى تقدم له — وكان يتناول القهوة بكثرة — أقل أو أكثر بقليل مما يتناوله عادة ، وكانت ثورته فى هذه المسائل البسيطة قد تصل إلى درجة الثورة التى تنتابه عندما يعالج أكبر المشاكل السياسية ، وقد تصل إلى أتهام المقصر أو المخطئ من الخدم بأكبر أتهام وهو أنه يعرقل جهود الفوهرر فى بناء الرايخ الألمانى وقد يكون مصيره معسكر الاعتقال إذا لم تهدأ ثورة غضب الفوهرر سريعاً . لكن هتلر كان يتبسط أحياناً مع خدمه ويتحدث إليهم حديث الزملاء ويقول لهم بأنهم جميعاً يؤدون أعمالا لا تقل أهمية عن أعمال الجنرالات .

كان هتلر يهوى رؤية الأفلام السينمائية وقد جهز مسكنه بصالة سينما تتسع لخمسة وعشرين شخصاً وكانت تعرض عليه فى هذه الصالة أفلام أخذت لما كان يجرى للمعتقلين فى معسكرات « داخاو » و « بوخنفالد » من صنوف التعذيب والقهر . كما كان يهوى رؤية أفلام الـ « ستربتيز » .

إذا كان يقال بأنه يمكن الحكم على الشخص من نوعية أصدقائه ، فإن هتلر لم يكن له أصدقاء ، فقد أبعد الذين عاونوه على الوصول إلى مركز الزعامة واحداً واحداً ، وفى مقدمتهم « دركسلر » و « فيدر » و « جريجور شتراسر » ، ولم يكن وفياً إلا للقليل فيما ندر طالما كانت طاعتهم له عمياء . كان له صديق حميم وهو الكابتن « ارنست رواهم قائد قوات العاصفة SA Sturm Abteilung وكان الرجل الوحيد من بين الخمسة والستين مليون ألمانى الذى كان يمكنه أن يتحدث إلى هتلر على قدم المساواه وأن يناديه باسمه (ادولف) أتهمه هتلر بالتآمر على نظام الحكم وأعدمه فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٤ ، وكان أرنست روأهم هذا مصابا بالشذوذ الجنسى بشكل فاضح ، ولكن ليس معنى هذا بأن هتلر مصاب أيضاً بنفس الشذوذ .

كان من عادة هتلر أن لا ينادى أحداً على الاطلاق باسمه الصغير بل باسم العائلة وكان كل من حوله ، حتى قدامى النازى « ينادونه بلفظ

يازعيمى Mein Fuhrer بعد التحية النازية المعتادة « هايل هتلر » فيجيبهم هو نفسه بنفس التحية Heii Hitler ، وكان عندما يلقى خطاباً يبدأه بـ « شعبى الألمانى » كما لو كان يعتبر نفسه قريباً من الشعب الألمانى فى مجموعه لا إلى أى فرد من الشعب على حده .

كان هتلر يحب موسيقى فاجنر حباً شديداً وكان لها تأثيراً كبيراً على تصرفاته ، وكان يهوى حضور الأوبرا كلما سمحت ظروفه بذلك ، كانت الموسيقى بالنسبة إليه مهدئ ومخدر لأعصابه .

لم يكن هتلر يعرف من اللغات الأجنبية سوى بضع كلمات فرنسية . . كان نادراً ما يجيب على سؤال يوجه إليه وكان يتحدث كما لو كان يلقى خطاباً .

لعل من أبرز صفات هتلر القوية التى أوصلته إلى حكم المانيا هى قدرته الخارقة على الخطابة ، والغريب هو أن هتلر كان عندما يتكلم يصيح ولا يعرف متى ينهى الحديث ، قد يفوقه « جوبلز » فى قدرته الخطابية ولكن هتلر الذى يفقد سحره فى الحديث وهو جالس إلى مائدة أمام مستمعيه كان قادراً على إثارة مشاعر جماهير مستمعيه إلى درجة الهوس ولا سيما عندما تكون جماهير غفيرة ، ومع ذلك فقد كان هتلر نادر الابتسام أمام الجماهير ونادر الابتسام فى الاجتماعات الخاصة .

هتلر مثل موسولينى ونابليون سيطر عليه أعتقاد راسخ بأنه مبعوث العناية الألهية .

نظرة هتلر إلى المرأة :

عرف عن هتلر عدم أهتمامه إطلاقا بإقامة علاقات نسائية له وكان يرى فى النساء مهمة واحدة وهى أن يكن ربات بيوت وأمهات لإنجاب رجال يصلحون لتكوين الجيوش . يقول فى كتابه « كفاحى » يجب تحرير حياة شعبنا من العطر الخانق لكل ما يثير الغرائز الجنسية فى جيلنا المعاصر » ، ويضيف بأن حياته الشخصية تعبر عن هذه العقيدة فى أكمل صورها وأنه ليس عدوا للنساء ولكنه يتجنبهن ويبتعد عنهن . الواقع أن تصرفات هتلر

مع النساء كانت دائماً مشوبة بالحذر . كان يعبر عن إعجابه ببعض النساء جنسياً ولكنه لم يكن يهتم بملاحقتهن . كانت مدام جوبلز فى أولى سنوات حكمه تنظم له حفلات السهر وتدعو إليها فتيات جميلات ونساء على جانب رفيع من الرشاقة والجاذبية ، ولكنها فشلت دائماً فى أن تجد المرأة التى توقعه فى غرامها . كانت تسرى إشاعات من بين حين وآخر عن غرام الفوهرر باحدى الفتيات ولكنها كانت كلها إشاعات لا نصيب لها من الصحة حتى أعتقدت النساء اللائى كن يقابلنه بأن الفوهرر لا قدرة جنسية له ولا خبرة له بأية أمرأة .

أدى عزوف هتلر عن النساء ونفوره منهن إلى الاعتقاد بأنه مصاب بالشذوذ الجنسى فأخذ بعض الصحفيين الألمان يتسابقون فى تقصى تاريخ الفوهرر خطوة بعد خطوة فى كل مكان قضى فيه ولو ليلة واحدة منذ شبابه . سألوا كل من اتصل به من جرسونات المقاهى والبانسيونات وبوابى المنازل وصاحبات المساكن التى كان يقطن بها فلم يتبين لأحد من هؤلاء الصحفيين بأن هتلر كان على علاقة بأى شخص كان ، رجلا أو امرأة وانتهوا إلى رأى وهو أن قدرته الجنسية فى مطلع أيام حكمه قد خفتت لاندفاعه بكل قوته إلى الخطابة ، وإنه لا يزال رجلا عذرياً .

يقول جوبلز بأن « هتلر رجل أعزب وأنه لن يتزوج لأن فى قلبه حباً واحدا وهو المانيا » .

والواقع هو أن علاقة هتلر بالنساء كانت علاقة غامضة ، فكل علاقة له بأمرأة أنتهت بعد فترة معينة ، وفى كثير من الحالات كانت النساء هن اللائى هجرنه ، وفى الوقت نفسه ليس صحيحاً ما قاله بعض المؤرخين من أنه كان عاجزاً جنسياً ويعانى نفسياً من هذا العجز .

هناك عدة نساء فى حياة هتلر منذ أن تولى حكم المانيا ، كانت هناك فتاة انجليزية اسمها « الآنسة يونيتى ميتفورد » توفيت سنة ١٩٤٨ وكانت شقيقة زوجة السياسى البريطانى المشهور « سير اوزوالد موزلى» سبق أن جاء ذكرها فى مكان سابق وكانت كثيرة التردد على برختسجادن وتنزل ضيفاً

على هتلر ، ولكن أولى غراميات هتلر فتاة ممثلة سينما المانية اسمها « رينانه موللر » ، وفى أثناء علاقتها بهتلر تعرفت بشاب يهودى ورث ثروة طائلة عن أبيه وأحبته ، ورغماً عن إدراكها لرقابة الجستابو لتحركاتها فقد اقنعت الشاب بأن يترك المانيا إلى باريس عن طريق تشيكوسلوفاكيا وبعد قليل سافرت هى إلى باريس للحاق به وأمضت برفقته شهراً . أعد الجستابو تقريراً عن كافة تحركاتها فى باريس مع هذا الشاب مدعما بالصور الفوتوغرافية وسلمه إلى هتلر الذى وضعه أمامها . أنتهت قصة تلك الفتاة بأن ألقت بنفسها من نافذة مسكنها بعد بضعة أشهر من غرامها بذلك الشاب اليهودى وماتت .

جاء دور فتاه ممثلة سينما أخرى اسمها « يني يوجو » ، كانت أصلا عشيقة جوبلز وأعجب بها هتلر فبقيت معه بضعة أشهر ثم هجرته .

جاء بعد ذلك دور سيدة اسمها « إيفا براون » Eva Braun كانت مساعدة للمصور الخاص لهتلر . كانت تبلغ من العمر ٣٣ سنة وكانت تسكن ميونخ ، رآها هتلر لأول مرة عندما توجهت إلى مكتبة فى برلين لتلتقط له عدة صور فى أوضاع مختلفة بغرفة مكتبه . وفى نهاية مهمتها قال لها هتلر بأنه لم يسبق له بأن قابل مصوراً صبوراً لطيفاً مثلها ودعاها إلى الحضور إلى برختسجادن لتلتقط له صوراً أخرى . كانت مهنة إيفا الأساسية التصوير الفوتوغرافى ولكن كانت لها هواية أخرى وهى تركيب العطور وكانت أول سيدة تثير أهتمام هتلر بالعطور حتى أنه قبل دعوتها لزيارة معملها الخاص التى كانت تعد فيه هذه العطور بمسكنها فى ميونيخ . كانت لها نظرية فى تركيب العطر لكل شخص فهى تدرس أخلاقه وطباعه أولا ثم تركب له العطر الذى يتفق ومزاجه وشخصيته . أهتمت إيفا بتركيب عطر خاص لهتلر قالت أنها أمضت فى تركيبه عامين ، وقد سر هتلر لذلك ايما سرور .

نمت صداقة هتلر لإيفا براون سريعاً مما أغضب جوبلز لأنه لم يكن يعلم شيئاً عن سر هذه الصداقة . حدث أن دعيت إيفا براون إلى حفل ارستقراطى

فى برلين وجاء جوبلز إلى هذا الحفل متأخراً متعمداً ، ولما أعلن وصوله تجول ببصره فى قاعة الاستقبال كمن كان يبحث عن شخص معين وثبت نظره على إيفا براون ثم انسحب من القاعة معتذراً عن البقاء بالحفل قائلا بأنه يعرف شخصاً بالغرفة تجرى فى عروقه دماء يهودية . فى اليوم التالى سرت إشاعة فى برلين بأن إيفا براون يهودية . أمر هتلر بإجراء تحقيق عن نسبها وثبت بأنها من أصل آرى نقى . غضب هتلر من الإساءة التى وجهها إليها وأمره بأن يكتب إليها خطاب أعتذار وأن تتحدث الصحف عن عبقريتها فى التقاط الصور الفوتوغرافية . بادر الماريشال جورنج — مكيدة فى جوبلز — بدعوتها إلى قصره فى « كارين هول » بالقرب من برلين لتكون ضيفة عليه بصحبة هتلر .

عرف عن إيفا براون كراهيتها للبريطانيين وكانت تصفهم بالجبن فى الوقت الذى كان فيه هتلر نفسه يقول لها بأن البريطانيين ليسو جبناء ولكنهم أغبياء ، وأن خبرته فى الحرب تقنعه بأنهم يقاتلون بشجاعة ولكن تعوزهم القيادة الحكيمة . كان هتلر يقول بأن هناك ثلاث دول فقط تنتج جنوداً على مستوى رفيع وهى ألمانيا وفرنسا بريطانيا وأن باقى الدول تلهو بالحرب مثل إيطاليا فجنودها لا يفهمون من أوامر الحرب إلا أوامر الأنسحاب وأن جنود المانيا قد بلغوا الذروة فى الكفاءة لأنهم يحاربون من أجل مثل عليا وهى المثل العليا للاشتراكية الوطنية .

هناك ممثلة سينما كان هتلر يأنس إليها وأستمرت صداقته لها فترة طويلة اسمها « ليني رايفنشتال » التف حولها الصحفيون الغربيون بعد هزيمة هتلر وأنتحاره فأنكرت تماماً أنها كانت عشيقة لهتلر وصرحت لهم بأنها لم تقبل الانضمام إلى حزب النازى وأنكرت حتى قراءتها لكتاب (ماين كامف) ، وقد أدرجت سلطات الحلفاء اسمها على القائمة السوداء رغماً عن ادعائها لتلك السلطات بأنها نصف يهودية .

كان لهتلر فى نفس الوقت صديقة تقيم بصفة دائمة فى الفيلا التى كان يقطنها هتلر فى برختسجادن اسمها « كرستنر » ولا أحد يعلم مدى علاقتها

به ، وقيل بأنه كان لها تأثيراً كبيراً على تفكيره وكانوا يلقبونها بـ « السر العظيم فى حياة هتلر » .

بدأت إيفا براون تظهر فى صحبة هتلر منذ سنة ١٩٣٨ وكان يتعمد أن يضفى عليها عطفاً وداً فى حضور كبار أعوانه ومساعديه ، لم تكن تتدخل فى المشاكل السياسية وكانت تحصر تفكيرها فى أبعاد هتلر عن باقى النساء اللائى كانت تعتبرهن خطراً عليها أمثال ماجدا جوبلز (زوجة دكتور جوبلز) وممثلة السينما ليني رايفنشتال . استمرت علاقة هتلر بايفا براون قرابة العشر سنوات وعقد قرانه عليها ليلة ١٩—٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥ قبل أن ينتحرا ، كما سيجىء ذكره فيما بعد .

وظاهرة صداقة هتلر للنساء على تلك الصورة الغريبة دعت كثيراً من المؤرخين إلى محاولة الحكم عليه نفسياً فقالوا أنه كان مصاباً بمرض جنون الأنانية وأنفصام الشخصية ، جزء من هذه الشخصية وحشى والجزء الآخر عاطفى ضعيف ، عندما يتغلب عليه الجزء الأخير يشعر بحاجة جامحة لمصاحبة النساء ويحب منهن أن يرضين أنانيته ومحبته الشديدة لذاته وأن يدعمن كبرياءه ، ولذلك فمن الصعب أن يقال بأن هتلر قد وقع فى غرام أية أمرأة لأنه بطبيعته هذه محب لذاته ولكبريائه بشكل جنونى .

تقول ايفا براون فى مذكراتها بأن هتلر قد تحدث إليها فى سنة ١٩٤١ عن رغبته فى أن ينجب طفلا يحكم ألمانيا من بعده وأنه منذ سنة ١٩٣٣ وهو يتردد فى تحقيق تلك الرغبة لأن أطفال عظماء التاريخ كانوا على الدوام فاشلين فى حياتهم ولكنه يأمل فى أن يغفل التاريخ استثناء له من هذه الظاهرة . كان لدى هتلر شعور بأنه سيعيش طويلا لذلك فسوف يكون لديه الوقت لكى يحسن تربيته وتعليمه . يقول هتلر بأنه انتظر سنوات طويلة حتى يهتدى الأطباء إلى أكتشاف نوع المولود قبل ولادته لأنه لا يحتمل التفكير فى أن ينجب أنثى يوما ما تحمل اسمه ، أنه لا يريد أن ينجب ذرية من القياصرة لأن عهد القياصرة قد ولى بغير رجعة ولكنه يفضل أن يطلق على أبنائه لقب أمراء فيسمى أحدهم « أمير الرايخ الألمانى الكبير » وهكذا ،

ويمكن لأولاده أن ينجبوا أولاداً يحافظون على عظمة الرايخ الألمانى ، ولكن هتلر يستدرك فيقول « لما كنت ظاهرة فريدة لا يمكن أن تتكرر فإن خلفائى سيكونون نماذج مقلده ، والنماذج المقلدة تكون عادة مثاراً للسخرية » .

هتلر فى أوج عظمته :

كان هتلر يقول — قبل أن يتولى السلطة فى المانيا —بأن هيئة أركان حرب القوات المسلحة الألمانية هى أعظم قوة عرفها العالم وعندما وصل إلى حكم المانيا أدرك بأن تلك الهيئة لن تكون أداة طيعة فى يده لتنفيذ سياسته لأن لها سياسة خاصة بها لا تحيد عنها . صفى هتلر منذ بداية حكمه نقابات العمال فى هدوء وقضى على الشيوعيين وأخضع كافة الطبقات بالإقناع أو بالشدة وكسب أصحاب الصناعات إلى جانبه ، ولكن الجيش الألمانى بقى فى جانب آخر ، ولم يكن هتلر يقوى على تصفيته أو أكتسابه إلى جانب النازى ولما كان فى الوقت نفسه فى حاجة ماسة إليه فقد اضطر إلى تقويته .

ابان أزمة ميونيخ سنة ١٩٣٨ استعدت هيئة أركان حرب الجيش برئاسة الجنرال « هالدر » (Halder) لطرد الحكومة ولكن لقبول تشمبرلن ، رئيس وزراء بريطانيا المفاجىء الحضور إلى ميونيخ للتفاهم مع هتلر ، وما أسفر عنه الاجتماع الرباعى بين هتلر وموسولينى وتشمبرلن ود الاديبه من نصر حاسم لهتلر جعل هيئة أركان الحرب تتراجع وتضعف أمامه .

كان قواد الجيش الألمانى يرون أتباع سسياسة الفتح المحدد ، كانوا يطمحون فى أن تصبح المانيا قوة عظمى بإمكانها تكوين جيش قادر يتقاضى مرتبات عالية ويتمتع بامتيازات خاصة ، وأن بلوغ هذا الهدف يتحقق بالقضاء على آثار هزيمة سنة ١٩١٨ وبمعنى آخر أستعادة الامبراطورية الألمانية ، ولكنهم لم يكونوا على استعداد لمناصرة هتلر والجرى وراء أحلامه فى إقامة امبراطورية نازيه . كانوا يعارضون بشدة ، على وجه

الخصوص، الحرب مع روسيا ولا يقيمون وزناً لما كان يثيره هتلر من مشاكل عقائدية .

فى سنة ١٩٤٠ كانت هيئة أركان الحرب راضية بما تم من فتح بولندا وغزو فرنسا وكانت ترى بأنه يجب تثبيت ما حصلت عليه المانيا من مكاسب غير أن ما قنعت به القيادة الألمانية من مكاسب الهب خيال هتلر وزاد من شهيته .

كانت أنتصارات هتلر فى سنتى ١٩٤٠ و ١٩٤١ سبباً لأن تصفه أجهزة الدعاية الألمانية « بأعظم رجال الاستراتيجية فى كل العصور » وكافيه لأن تجعله يجلس يخطط لتحقيق أحلام النازى فى « استعمار الشرق » .

لقد انتقل هتلر من نصر إلى نصر بشكل لم يعرف له التاريخ مثيلا إلا القليل النادر . أستولى على أراضى الراين رغم كل المواثيق سنة ١٩٣٦ ثم استولى على النمسا فى مارس سنة ١٩٣٨ . استولى على أراضى السوديت من تشيكوسلوفاكيا نتيجة لاجتماع ميونيخ فى سبتمبر سنة ١٩٣٨ واستولى على ما تبقى من تشيكوسلوفاكيا فى سنة ١٩٣٨ . غزا بولندا فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ . فتح فرنسا وهولندا وبلجيا والدانمرك والنرويج وبلاد البلقان . لم يأبه باتفاقيته مع روسيا وغزاها فى يونيه سنة ١٩٤١ واحتل مساحات شاسعة من أراضيها . وقف هتلر غازياً منتصراً من دائرة القطب الشمالى فى النرويج إلى أبواب موسكو وبحر ايجه ولا يعرف تاريخ أوربا مثيلا لكل ذلك منذ فتوحات نابليون . بدأت سنة ١٩٤٢ وجيوش هتلر على بعد ألف كيلو متر شرق حدود المانيا وأصبحت على مشارف آبار بترول القوقاز ، كما أصبحت قوات روميل فى شمال أفريقيا بعد بضعة أشهر على مشارف الاسكندرية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ستالين عمل منذ سنوات على توطيد علاقته بهتلر فى الوقت الذى كان يجمع فيه قواته العسكرية الضخمة . كان ستالين ومولوتوف يبعثان بتهانيهما إلى هتلر فى كل مناسبة للانتصارات الألمانية وكانا يصدران إلى المانيا كميات ضخمة من الأغذية والمواد الخام لمعاونة

المجهود الحربى الألمانى وكانا على أستعداد للوصول إلى تفاهم دائم مع ألمانيا النازية فى الوقت الذى كانت فيه أجهزة الدعاية الروسية تهاجم بريطانيا هجوماً عنيفاً وينشط الطابور الخامس الشيوعى فى بريطانيا لتعطيل الإنتاج الحربى البريطانى ، وهدف ستالين معروف وهو تحطيم الامبراطورية البريطانية .

جاء باحدى الوثائق التى أستولت عليها القوات الأمريكية بعد أنهيار ألمانيا ونشرتها وزارة الخارجية الأمريكية سنة ١٩٤٨ تحت عنوان « **العلاقات النازية السوفيتية ١٩٣٩ — ١٩٤١** » عن أول مقابلة لمولوتوف مع ريبنتروب بتاريخ ١٢ نوفبر سنة ١٩٤٠ ما يلى نصه « قال ريبنتروب بأنه أبدى ، فى خطاب لستالين ، أعتقاد ألمانيا الجازم بأنه لا توجد قوة على الأرض يمكنها أن تغير من الحقيقة وهى أن بداية النهاية للامبراطورية البريطانية قد أزفت وأن بريطانيا قد هزمت وأن المسألة هى مسألة وقت فقط لكى تعترف بالهزيمة » . جاء فى نهاية الوثيقة ما نصه . « أن أية محاولة من جانب بريطانيا تساندها الولايات المتحدة الأمريكية للنزول على ساحل القارة الأوربية هى محاولة مكتوب عليها الفشل منذ البداية . أن هذه الحقيقة لم يفهمها البريطانيون بعد لأنه يظهر بأن حالة من الفوضى تسود بريطانيا وأن على رأس بريطانيا سياسى وعسكرى هاو اسمه تشرشل ، وهذا التشرشل قد لازمه الفشل فى كل مراحل حياته الأولى وسيلازمه الفشل الآن أيضاً » .

حملة هتلر على روسيا فى خمسة أشهر :

بعد خمسة أشهر من هجوم هتلر على روسيا (أى فى نوفمبر سنة ١٩٤١) كان قد حقق نتائج رهيبة وأنزل بالروس خسائر فادحة لم يكن بمقدور أية دولة أخرى أن تتحملها أو أن تبقى بعد إنزال تلك الخسائر بها ، ولكن كانت هناك ثلاثة أهداف رئيسية لهتلر لم تتمكن جيوشه من تحقيقها فقد كانت لا تزال موسكو ولينجراد وكذا حوض نهر الدون الأسفل بايدى الروس يدافعون عنها بكل قواهم . كان القوقاز ونهر الفولجا واركانجل لا تزال بعيدة عن متناول أيديهم . لم يكن الجيش الروسى قد نزلت به

الضربة القاضية كما أراد هتلر إذ كان لا يزال هذا الجيش متماسكاً يحارب بكل شجاعة وقوة وفى ازدياد مستمر . كان أمل هتلر قد خاب فى القضاء على الجيش الروسى قبل حلول شتاء ١٩٤١ — ١٩٤٢ ولذلك فقد تبين له بأن لا مناص من الأستمرار فى الحرب على الجبهة الروسية لحرب طويلة .

تنفست الدول المعادية لهتلر الصعداء بعد أن فشل لأول مرة فى تحقيق استراتيجية الحرب الخاطفة (بليتس كريج) ، وقد زال الآن خطر غزو هتلر المباشر للجزر البريطانية طالما كان منغمساً فى حرب حياة أو موت على الجبهة الروسية . كان هتلر يبدو واثقا من أنتصاره على روسيا فدخل فى مناقشات حادة ومنازعات مع جنرالاته ومارشالاته الذين فشلو فى تحقيق أحلامه فى أحتلال موسكو والقضاء على مقاومة الروس قبل حلول الشتاء فلجأ إلى عزل قائد عام الجبهة (فون براوختش) ثم من بعده (فون رونشتد) قائد القطاع الأوسط وتولى هتلر بنفسه قيادة جيوشه على الجبهة الروسية واثقاً من قدرته العسكرية ومؤملا أن تنهار روسيا خلال عام ١٩٤٢ .

كان هتلر يحلم بأن يبنى طريقاً ضخماً يمتد من أواسط روسيا إلى المانيا تسير عليه الناقلات الضخمة لنقل قمح أوكرانيا وبترول القوقاز إلى أوربا .

أثارت الحرب التى أرادها هتلر مع روسيا معارضة هيئة أركان الحرب التى لم تكن توافق عليها سياسياً وعسكرياً ولكن هتلر لم يأبه برأيها . قالوا له بأن الخبراء العسكرين لا يوافقون وهم يعرفون أكثر مما يعرف فأجابهم « عليكم فقط أن تدقوا على الباب الخارجى وسترون بأن البيت سينهار بأكمله » . عندما قدموا إليه أرقاماً عن إنتاج روسيا الحربى أجابهم فى ثورة عارمة أن يسكتوا داعية الهزيمة الذى جمع تلك الأرقام .

كان هتلر قد أعلن فى أكتوبر سنة ١٩٤١ بعد أن بدأت الحرب مع روسيا بأربعة أشهر — لأغراض تكتيكية — بأن الحرب مع روسيا قد انتهت وأن روسيا لم يعد لها وجود ، وأن الدب الروسى قد مات ولكنه فقط يرفض أن يقع على الأرض ، ولكى يثبت صحة ما ذهب إليه أعلن عن تسريح أربعين فرقة من الجيش وعودة الرجال إلى المصانع وإيقاف الإنتاج الحربى

فى بعض المصانع ، كل ذلك دون الرجوع إلى هيئة أركان حرب الجيش .

فى نوفبر سنة ١٩٤١ قرر هتلر أن يتولى بنفسه القيادة العليا للجيش الألمانى وبعد أشهر قليلة قرر فصل الجنرال « هالدر » رئيس أركان حرب الجيش وهو القائد الذى أعترف له الجميع بأنه أقدر جنرال ألمانى فى خلافة العبقرية العسكرية الألمانية العريقة والتى تمثلت فى الماضى فى الجنرال « مولتكه» والجنرال « شليفن » . شكل هتلر قيادة موحدة جديدة أصبحت إدارة سياسية للقوات المسلحة ووضع على رأسها الجنرال « كايتل » الذى كان يؤمن بعبقرية هتلر الاستراتيجية ، كما عين الجنرال « يودل » منفذاً للخطط الاستراتيجية ، واتخذ هتلر من مخبأه تحت الأرض فى برلين وفى « راستنبورج » مركزاً لإدارة دفة الحرب وإصدار القرارات . وبذلك أصبحت رقابة حزب النازى على القوات المسلحة رقابة تامة .

كان هتلر يدعى بأن الجنرالات الألمان قد فقدوا أعصابهم وأن إرادته الحديدية وعبقريته العسكرية هى التى أنقذت الجيوش الألمانية من الهلاك فى شتاء روسيا القارس سنة ١٩٤١ — ١٩٤٢ ، ولم يكن يخفى كراهيته للغالبية العظمى من الضباط العظام والقواد .

إن كانت سنة ١٩٤١ تمثل أنتصاراً حاسما للحزب على الجيش فإنها تمثل أيضاً تحولا فى شكل السلطة فقد أنتقلت سلطة الوزراء إلى سلطة حاشية هتلر ولا عجب أيضاً إن رأينا بأن الفساد قد شمل الغالبية العظمى من زعماء النازى بعد أن أسكرتهم نشوة الانتصارات .

كان الرجل الثانى فى الرايخ الألمانى هو « هرمان جورنج » بمقتضى قرار لهتلر فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ . وجورنج هو مؤسس سلاح الطيران الألمانى « لوفت وافه » ومخطط برنامج السنوات الأربع وواضع أنظمة الجستابو ومعسكرات الاعتقال . يأتى بعده « رودلف هيس » وهو الذى هرب بطائرته إلى سكوتلاندا فى ١١ مايو سنة ١٩٤١ وقيل بأنه قواه العقلية مختلة ، وحل محله كرئيس لهيئة سكرتارية الحزب « مارتن بورمان » ولكن

لم يقرر هتلر أن يحتل بورمان المكان الثالث بعد جورنج بسبب عداء جورنج له .

وقصة هرب « رودلف هس » إلى سكوتلاندا رواها تشرشل فى الجزء الثالث من مذكراته (ص ٤٩) كما يلى : عرض هس على الحكومة البريطانية مقترحات — دون أن يقول بأن لديه تفويضاً من هتلر بذلك — تتضمن الاتفاق على اطلاق يد المانيا فى أوربا واطلاق يد بريطانيا فى امبراطوريتها مع إعادة مستعمرات المانيا السابقة إليها وسحب بريطانيا قواتها من العراق وعقد هدنة ومعاهدة سلام مع إيطاليا ، وأضاف هس بأنه إن لم تقبل بريطانيا هذه الشروط فستضطر مرغمة بعد ذلك على قبولها . أجابه لورد « سايمون » الذى أنتدبته الحكومة البريطانية لاستجوابه » لا أعتقد بأن هذه هى اللهجة التى تتقبلها الوزارة البريطانية لأنك تعلم بأن هذا البلد يتحلى بقدر كبير من الشجاعة ، وأننا لا نستسيغ سماع التهديدات » . وأقفل موضوع هس بايداعه الإقامة الجبرية فى مكان ما ومعاملته باعتبار تام .

وما يرويه تشرشل أيضاً عن هذا الموضوع بأنه حدث فى أول أجتماع له مع ستالين — بعد مهاجمة المانيا لروسيا — أن سأل ستالين تشرشل وهما على مائدة العشاء عن حقيقة مهمة هس فى بريطانيا فأجابه تشرشل بما تقدم ذكره لأن تشرشل شعر بأن لدى ستالين أنطباعاً بأن مهمة هس كانت تهدف إلى تنسيق مؤامرة لم تتم بين المانيا وبريطانيا لكى يهاجما روسيا سويا . لما عقب ستالين بأنه لا يصدق ما قاله تشرشل بادر تشرشل بالقول فى شىء من الانفعال «أننى عندما أقرر حقائق طبقا لمعلوماتى فإنى أنتظر أن تقبل على أنها صحيحة » ، فعاد ستالين يعلق على تلك الإجابة بقوله « هناك أشياء كثيرة تحدث هنا فى روسيا لا تجد أجهزتنا السرية داعيا لأطلاعى عليها » . أنهى تشرشل الحديث عن هذا الموضوع عند هذا الحد .

بدء الكوارث العسكرية والسياسية :

فى خريف سنة ١٩٤٢ بدأت كارثة ستالنجراد بتوقف الجيش السادس الألمانى عن زحفه بقيادة الجنرال باولوس أمام ستالنجراد بعد أن أصاب

الجنود التعب . كان الشتاء قد قرب وأستعد الروس لهجوم مضاد ولكن هتلر صمم على عدم التراجع . فى ١٩ نوفبر قام الروس بهجوم مضاد لتطويق جيش الجنرال باولوس . وفى مدى أربعة أيام تمكنوا من أتمام التطويق . حاول باولوس فك الحصار والتراجع ولكن هتلر أمره بالتمسك بمكانه ورفعه إلى مرتبة الماريشالية تشجيعاً له . أخذ الروس يضيقون دائرة الحصار يوماً بعد آخر . فى ١٢ ديسمبر قام الماريشال باولوس بمحاولة يائسة لفك حصار الروس ولكنه فشل . بقى محصوراً لمدة سبعة أسابيع ولكن مصيره كان محتوماً . بذلت القيادة الألمانية جهوداً جبارة لتموينه من الجو ولكن الخسائر فى الطائرات كانت رهيبة . أشتد البرد وقل الطعام وانتشر وباء التيفوس بين الجنود . فى ٨ يناير رفض الماريشال باولوس إنذاراً نهائياً بالتسليم فعاد الروس فى اليوم التالى إلى الهجوم بعنف . استبسل الألمان فى الدفاع وقذف باولوس بكافة رجالة فى معركة أخيرة ولكن بدون فائدة . فى ٢٢ يناير اندفع الروس فى هجوم آخر على القوات الألمانية التى بدأ بعضها بالتسليم . فى ٣١ يناير سنة ١٩٤٣ أسر الروس الماريشال باولوس مع أركان حربه ثم أعلن الماريشال الروسى فورونوف بأن كل مقاومة قد توقفت وأنه قد أخذ تسعين ألف جندى ألمانى أسرى وهم الذين بقوا على قيد الحياة من أحدى وعشرين فرقة المانية وفرقة واحدة رومانية .

فى أكتوبر سنة ١٩٤٢ أضطر رومل تحت ضغط الجيش الثانى بقيادة مونتجومرى إلى الانسحاب من مرسى مطروح غرباً وظل مستمراً فى أنسحابه حتى الحدود التونسية وفى ٨ نوفبر من هذا العام أيضاً أنزل الأمريكيون والبريطانيون قواتهم فى المغرب والجزائر .

وكما كانت سنة ١٩٤٢ سنة الكوارث العسكرية فقد كانت سنة ١٩٤٣ سنة الكوارث السياسية إذ تركت إيطاليا محور روما برلين .

أما سنة ١٩٤٤ فقد كانت سنة غزو الحلفاء لفرنسا ولألمانيا .

غارات سلاح الجو الألمانى على لندن والمدن والموانى البريطانية :

ما أن أكتسحت الجيوش الألمانية هولندا وبلجيكا وفرنسا وتمت لهتلر السيطرة على تلك البلاد فى يونية سنة ١٩٤٠ حتى بدأ يقصف لندن والمدن والموانى البريطانية بالقنابل بهدف إخضاع بريطانيا وإجبارها على التسليم بل والاستسلام لشروطه وأشتد هذا القصف فى أشهر الخريف من نفس العام ثم عاد فى شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٤١ يركزه على كارديف وبور تسموث وسوانسى ، ثم بدأ فى أوائل مارس يركز على تخريب الموانى (بور تسموث ومانشستر وسلفورد ومرسى سايد وكلايد) بهدف تحطيم أحواض بناء السفن بها ، وبلغت الخسائر فى الأرواح أكثر من ألفين ما بين قتيل وجريح . فى شهر أبريل قصف كوفنترى ولندن قصفاً شديداً (فى غارتين فقط يومى ١٦ و ١٧ أبريل قتل أكثر من ٢٣٠٠ شخصاً وجرح أكثر من ثلاثة آلاف جروحاً خطيرة) . وصل هذا القصف ذروته على مدينة ليفربول يوم أول مايو ولسبع ليال متتالية ونتج عنه أن فقد أكثر من ٧٦ ألف شخص منازلهم وقتل منهم أكثر من ثلاثة آلاف وجرح آلاف جروحاً خطيرة .

نتج عن إصابة أحواض السفن فى الموانى أن تعطل العمل فى ٦٩ حوضاً من مجموع الأحواض البالغ عددها ١٤٤ وانخفض إنتاج بناء السفن إلى الربع لمدة شهرين .

خلال ليلتين متتاليتين قصف هتلر مدينة « هل » قصفاً شديداً نتج عنه تخريب مساكن ٤٠ ألف شخص قتل منهم عدة آلاف وخربت مخازن الأغذية والمصانع الهندسية البحرية لمدة شهرين ، كما لم تنج بلفاست وبريستول من الغارات خلال تلك الفترة وأصيبت بخسائر كبيرة ، كما ضربت مصانع رولز رويس فى داربى ونوتنجهام .

كانت أسوأ الغارات على لندن يوم ١٠ مايو عندما عاد هتلر ليلقى عليها قنابل حارقة أشعلت ما يقرب من الفى حريق وخربت ما يقرب من مائة

وخمسين مورداً للمياه مما أدى إلى عدم إمكان السيطرة على تدفق المياة لعدة أيام ، ونتج عن تلك الغارة الرهيبة أن تعطلت مصانع كثيرة وتوقفت الطرق الحديدية وأرصفة الميناء عن العمل لمدة ثلاثة أسابيع ، وبلغ عدد القتلى والجرحى الألاف ، كما ضرب فى ثلك الليلة مبنى مجلس العموم البريطانى بقنبلة مباشرة نتج عنها خسائر لم يمكن تداركها إلا بعد سنوات ولحسن الحظ كان المبنى خاليا من الأعضاء . (بلغت الخسائر بين المدنيين ابتداء من يونيه سنة ١٩٤٠ وعلى مدى أثنى عشر شهراً ٤٣٣٨١ قتيلا و ٥٠٨٣٦ جريحاً جروحاً خطيرة) .

فى ٢٢ مايو سنة ١٩٤١ نقل الماريشال كسلرنج قواعد أسطوله الجوى فى مواجهة الحدود الروسية أستعداداً لغزو روسيا .

عاد هتلر بعد ثلاث سنوات (فى فبراير سنة ١٩٤٤) إلى قصف لندن بالقنابل الطائرة والصواريخ الموجهة . كان فى ١٠ يونيه سنة ١٩٤٣ عندما ساء موقفه العسكرى قد جمع قادة جيوشه وأبلغهم بأن مهمتهم هى أن يصمدوا فى أماكنهم لأنه سيحطم لندن فى نهاية العام بأسلحة جديدة يجرى إنتاجها على نطاق واسع وأن بريطانيا ستجد نفسها مجبرة على الاستسلام وحدد يوم ٢٠ أكتوبر لبدء ضرب لندن بالقنابل الطائرة والصواريخ الموجهة الجديدة . عرف بعد أنتهاء الحرب بأن هتلر كان قد أصدر أمراً بانتاج ٣٠ ألف صاروخ V2 لهذا اليوم فقط (٢٠ أكتوبر) . ذكر دكتور « سبير » وزير هتلر للإنتاج الحربى بعد أنتهاء الحرب بأن إنتاج الصاروخ الواحد V2 يحتاج إلى ساعات عمل كافية لإنتاج ست طائرات مقاتلة أى أن طلب هتلر يعادل إنتاج ١٨٠ ألف طائرة مقاتلة فى مدى أربعة أشهر ، ولم يكن هذا بطبيعة الحال ممكناً ولا يمكن القيام به على أية صورة ولكن هتلر أعطى أسبقية تامة لإنتاج تلك الصواريخ وأمر بنقل مائة وخمسين ألف عامل فنى مدرب من مصانع إنتاج المدافع المضادة والمدافع إلى مصانع إنتاج هذا الصاروخ الجديد . هاجم السلاح الجوى البريطانى مصانع إنتاج تلك الصواريخ فى « بينا موندى » وتحمل خسائر ضخمة فى هذا الهجوم ولكنه أستمر فيها .

يقول الجنرال « آيزنهاور فى كتابه Crusade in Europe بأن غارات الحلفاء الجوية على بينا موندى » وغيرها من أماكن إنتاج الصواريخ أدت إلى تعطيل الإنتاج ولو كان الألمان قد تمكنوا من إنتاج تلك الصواريخ وضبط استعمالها ستة أشهر قبل أن يبدأوا باطلاقها لكانت عملية غزو أوربا قد أصبحت فى غاية الصعوبة وربما كانت قد أصبحت مستحيلة . يقول آيزنهاور أيضاً عن هذا الموضوع بأنه على يقين بأن الألمان لو كانوا قد أستخدموا تلك الصواريخ لمدة ستة أشهر متوالية وركزوها على ميناءى بورتسموث وساوثها مبتون لكانت عملية الغزو قد أصبت مستحيلة ولعدل عنها كلية .

فى ١٢ يونيه سنة ١٩٤٤ — بعد نزول الحلفاء على شاطىء فرنسا الشمالى عاد هتلر إلى قصف لندن بالقنابل الطائرة والصواريخ الموجهة V1 و V2 . أدى هذا القصف إلى تخريب ثلاثة أرباع مليون منزل منها ٢٣ ألف منزل تهدمت تماماً . فى اليوم الأول ضربت لندن بمائتى قنبلة طائرة ، وعلى مدى خمسة أسابيع بعد ذلك أسقط عليها ثلاثة آلاف قنبلة أخرى .

أستعمل هتلر بعد ذلك الصواريخ V2 وكانت تبلغ سرعتها أربعة آلاف ميل فى الساعة ولم تكن تستغرق أكثر من ثلاث أو أربع دقائق لكى تصل لندن من مكان أطلاقها. وكان الصاروخ يسبب ضعف الخسائر التى تسببها القنبلة الطائرة . كان صوت القنبلة الطائرة يحذر الناس فيسارعون إلى الاختباء ، أما الصاروخ الطائر فكان يهوى فوق لندن بسكون . وكانت تكاليف صناعة الصاروخ تعادل عشرين ضعفاً لتكاليف صناعة القنبلة الطائرة (كاتب هذه السطور أستقل طائرة حربية صغيرة من القاهرة إلى لندن فى مطلع عام ١٩٤٥ لتسلم عمله بالسفارة المصرية وكان على الطائرة أن تهبط فى مطارين بليبيا قبل أن تعبر البحر الأبيض المتوسط من مطار العضم بليبيا ثم تهبط فى جنوب فرنسا لكى تستعد للطيران فوق الأراضى الفرنسية فى طريقها إلى لندن . كانت الطائرة مزودة بمدافع رشاشة وبجهاز مراقبة لسرعة تفادى تلك القنابل قدر الإمكان) .

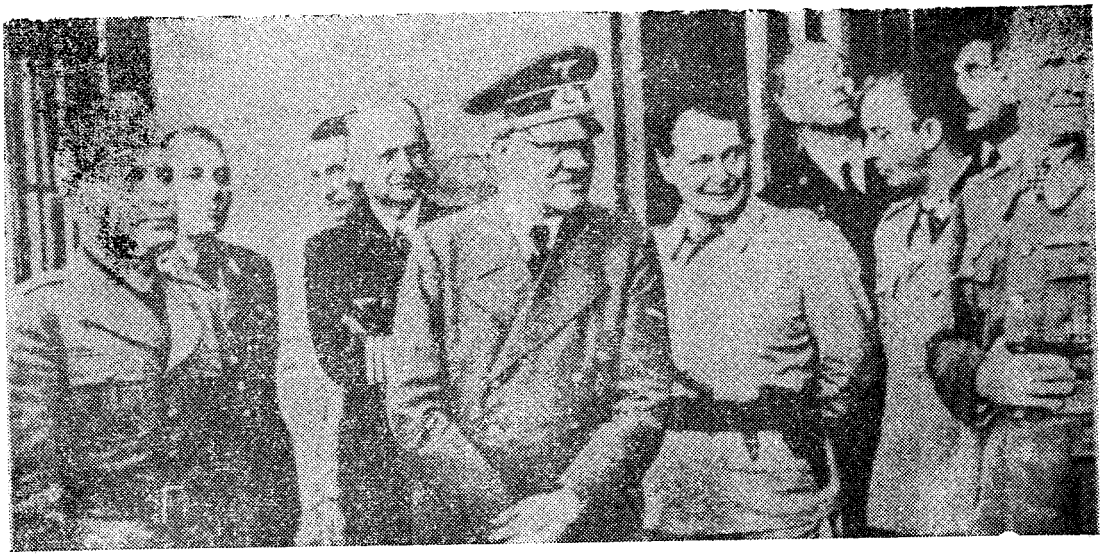

أدولف هتلر عقب محاولة أغتياله يوم ٢٠ يوليه سنة ١٩٤٤ على يمينه (بنيتو موسوليني) وعلى يساره (هرمان جورنج) وقف خلف هتلر الإميرال « دونيتز » وعلى يمينه « مارتن بورمان »

مؤامرة الضباط الألمان لاغتيال هتلر :

فى صيف سنة ١٩٤٤ ازداد الموقف العسكرى لهتلر سوءاً وبدأت الجيوش الألمانية فى تقهقر مستمر إمام ضغط جيوش الحلفاء ، من الشرق على الجبهة الروسية ومن الغرب بواسطة قوات الغزو التى نزلت على ساحل نورماندى فى شمال فرنسا ، ومن الجنوب بواسطة قواتهم الزاحفة من إيطاليا .

وبينما كان هتلر مجتمعاً ببعض ضباط أركان حربه فى غرفة الاجتماع اليومى بمخبأ بمقر قيادته فى « راستنبرج » يوم ٢٠ يوليه سنة ١٩٤٤ وإذا بقنبلة تنفجر انفجاراً شديداً ويؤدى أنفجارها إلى قتل أحد الموجودين وإصابة الكثيرين بجراح خطيرة ولكن هتلر نجا من الموت ، ولا يعرف كيف نجا إذ لم يصب سوى بكدمات بسيطة فى ذراعه الأيمن وبصمم مؤقت فى أذنيه . كان أحد الضباط وأسمه « كولونيل جراف فون ستاوفنبرج » قد أعد صندوقاً به قنبلة زمنية وتمكن من إدخاله إلى قاعة الاجتماع ووضعه تحت مائدة الاجتماع . ما أن بدأ الاجتماع حتى أزاح هذا الكولونيل الصندوق برجله نحو مكان جلوس هتلر ثم أستأذن فى الخروج للرد على مكالمة تلفونية عاجلة ، وكانت طائرة قد أعدت لنقله إلى برلين حيث أذاع من الراديو بأن هتلر قد أغتيل فى الوقت الذى كان فيه هتلر ينفض عن نفسه غبار الأنقاض التى تخلفت عن الأنفجار الذى هدم الغرفة بأكملها .

أعتقد هتلر فى بادىء الأمر بأن الانفجار كان نتيجة قنبلة مباشرة ألقيت على المخبأ من أحدى طائرات الحلفاء ولكن عندما عرف الحقيقة المره ساءت حالته النفسية وأطلق على المحاولة « مؤامرات الجنرالات » وأخذ يردد« من الذى ينكر بأن الإله يخصنى برعايته » . كان على هتلر أن يستقبل موسولينى بعد ساعات قليلة من تلك المحاولة فى حفل الاستقبال الذى أقيم تكريماً له بعد ظهر نفس اليوم كان هتلر مكتئباً وأخذ يردد « أن الشعب الألمانى لا يستحق أفكارى العظيمة وعلى ذلك فلأتركه يهلك » .

ظل هتلر مهتز الأعصاب بعد ذلك لفترة طويلة ، ونشط الجستابو

من ناحيته فى إلقاء القبض على كل من يشك بأن له صلة بالحادث ولو من بعيد وإعدامه رمياً بالرصاص فوراً وبدون محاكمة ، وقيل بأن عدد الذين فقدوا حياتهم نتيجة لتلك المؤامرة قد بلغ ٤٩٨٠ شخصاً من بينهم عدد كبير من الضباط ذوى الرتب الصغيرة وذلك فى الأيام القليلة التى تلت الحادث مباشرة .

أما قواد الجيش من أعلى الرتب الذين أتهموا بالتدبير أو بعلمهم بالمؤامرة فقد شكلت لهم محكمة خاصة يوم ٧ أغسطس وصدرت عليهم فى نفس اليوم أحكام بالأعدام شنقاً ونفذ الحكم فى اليوم التالى بالشنق البطىء ، وصور فيلم سينمائى لطريقة الشنق البطىء هذه وعرض على هتلر فى مساء نفس اليوم بدار الشانسلرية . شمل حكم الأعدام الفيلد ماريشال « فون فيتسليبن » ، والجنرالات « هوبنر » و « هيس » و « ستيف » ، أما عائلاتهم جميعاً فقد أرسلت إلى معسكرات الأعتقال ومعهم الجنرال « هالدر » رئيس الأركان السابق والدكتور شاخت وزير الاقتصاد السابق .

فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ وبعد ثلاثة أشهر من المؤامرة شك هتلر فى أشتراك الفيلد ماريشال « روميل » فيها فبعث إليه برسالة — حملها إليه الجنرال برجدورف — يخيره فيها بين الانتحار أو المثول أمام المحكمة الخاصة . كان روميل قد شفى لتوه من آثار حادث وقع له وهو بسيارته أثناء غارة جوية ولزم بسببه المستشفى للعلاج . أختار روميل الانتحار لإنقاذ عائلته من معسكر الاعتقال وأعلن الجستابو بأنه قد توفى نتيجة هبوط فى القلب . أمر هتلر بأن تشيع جنازته عسكريا إذ فضل هتلر أن لا يظهر بأن القائد الذى كان يعتبر أحب القواد إلى قلوب الجنود الألمان قد أنقلب ضده أيضاً .

أصبح الآن الرجل الذى جعل من مبادئه الأولى أن لا يثق فى بشر مهما كان يشكو بمرارة من أنه لا يجد من الرجال من يمكنه أن يضع فيه ثقته . قال مرة فى تلك الأثناء أن « إيفا براون وكلبه (بلوندى) هما المخلصان الوحيدان له وأستعاد قول فردريك الأكبر « عرفت الآن الرجال ، أننى أفضل الكلاب » .

بعد تلك المحاولة أحاط هتلر نفسه بحرس من البحرية والطيران ، وعلى

كل حال فقد كانت نتيجة فشل المحاولة هذه أمتداد فترة الحرب لمدة ثمانية أشهر أخرى .

حقيقة الواقع أنه كانت هناك عوامل مادية بنى هتلر آماله عليها فى تغيير دفة الحرب لصالحه ، كان كبير الأمل فى أن تتمكن ألمانيا من الانتهاء من تركيب القنبلة الذرية قبل الحلفاء لكى يتمكن بها من الرد على غارات الحلفاء الجوية الشديدة الوطأة على المصانع والمدن الألمانية . كان فى تقدير هتلر أيضاً أسلحته التى كان يتمم صناعتها وهى ف١ (القنبلة الطائرة)وف ٢ (الصاروخ الطائر الموجه) ، يضاف إليهما الطائرة المقاتلة النفاثة التى كان يأمل بها فى سيطرة سلاح الطيران الألمانى على أجواء أوربا فى كل مكان ، وكذا الأنواع الجديدة من الغواصات حاملة الصواريخ (يو بوتس) التى كان يأمل بها فى أن تتمكن البحرية الألمانية من السيطرة على وسائل تموين الحلفاء فى البحر عبر الأطلنطى وبحر الشمال. بعض تلك الأسلحة كانت موجودة فعلا ، فمثلا بالنسبة للقنبلة الطائرة والصاروخ الطائر الموجه كان من المنتظر أن يلعبا دوراً حاسما فى آخر مراحل تطور الحرب ولكن الآمال التى علقها عليها هتلر كانت آمالا مبالغاً فيها بسبب صعوبة إنتاجها على نطاق واسع فى ظروف غارات الحلفاء الجوية العنيفة على مراكز إنتاجها .

فى فبراير سنة ١٩٤٥ تبين للقادة العسكريين بأن الموقف العسكرى لألمانيا أصبح ميئوساً منه فقد أبلغ الجنرال « جودريان » ، رئيس أركان حرب الجيش منذ محاولة ٢٠ يوليه سنة ١٩٤٤ ، الهر فون ريبنتروب وزير الخارجية بأن الحرب قد خسرت نهائياً . سارع الهر فون ريبنتروب بابلاغ هذا الكلام إلى هتلر الذى أستدعى الجنرال جودريان وقال له محتداً بأن هذا الكلام معناه الخيانة وأنه لا الرتبة ولا المنصب سينقذان صاحبهما فى المستقبل من الموت ولا أفراد عائلته من الاعتقال .

بعد غارة جوية عنيفة لطائرات الحلفاء على درسدن جن جنون جوبلز وطلب من هتلر نقض معاهدة جنيف الخاصة بمعاملة أسرى الحرب وأعدام طيارى الحلفاء الذين يقعون بأيدى القوات الألمانية وأستعمال نوعين جديدين

من قنابل الغازات السامة أطلق عليهما « تابون » و « سارين » ، ولكن هتلر لم يتخذ قراراً فى الموضوع رغم أعترافه بالأثر المفيد الذى سوف يحدث على تصرف الجنود الألمان وهم بالمعركة إذا ما علموا بأن الحلفاء سيلجأون إلى المعاملة بالمثل إذا ما وقعوا أسرى بأيديهم .

بدء النهاية :

كان هتلر فى ٣٠ مارس — وبعد مشادة عنيفة مع الجنرال « جودريان » رئيس أركان حرب الجيش — قد طلب إليه أن يترك منصبه وعين مكانه الجنرال « هانس كريبس » الذى كان يشغل فى الماضى لسنوات عديدة منصب الملحق العسكرى الألمانى فى موسكو .

كان يوم ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٥ عيد ميلاد هتلر السادس والخمسين ، وفى هذه المناسبة دعا جوبلز الشعب الألمانى وفى إذاعة له من الراديو أن يضع ثقته التامة فى النصر وفى الفوهرر الذى سيخرج الشعب ولا شك من صعابه الحالية . فى هذا اليوم كان هتلر يعتزم الانتقال من برلين إلى « أوبرسا لزبورج » ليدير المعركة على الجبهة الجنوبية ، غير أنه فى صبيحة ذلك اليوم كان الموقف العسكرى يتلخص فى أن قوات الحلفاء والقوات الروسية قد تمكنت من أن تقسم ألمانيا إلى شطرين تقريباً لا يفصلهما ألا ممر ضيق . كانت القوات الأمريكية قد وصلت إلى نهر « البه » وكانت القوات الروسية قد وصلت إلى حوض نهر « أودر — نيبس » وأصبحوا يهددون برلين ودرسدن فى وقت واحد . فى الشمال وصل البريطانيون إلى مشارف مدينتى بريمن وهامبورج وفى الجنوب وصلت قوات فرنسا الحره إلى نهر الدانوب . كان الروس قد أحتلوا فينا . فى إيطاليا كانت قوات الفيلد مارشال الكسندر قد أحتلت مدينة بولونيا فى شمال إيطاليا وكانت تتقدم بسرعة لاحتلال وادى نهر « البو » وفى قلب الرايخ كان الجنرال باتون الأمريكى يزحف فى منطقة بافاريا .

فى يوم عيد ميلاده تقبل هتلر التهانى وأقيمت له الحفلات فى دار الشانسلرية ولكن بقى أمر هام خطير يقلق الحاضرين وفى مقدمتهم جورنج

وكايتل وهملر وبورمان وجوبلز وكريس وبرجدورف . هذا الأمر الخطير هو أنه فى الاجتماع اليومى الذى عقد بعد تقبل التهانى طلب المجتمعون من هتلر أن ينتقل من برلين إلى « أوبرسا لزبورج » فى الجنوب لأن برلين أصبحت مهددة بحصار شامل من بين حين وآخر غير أن هتلر لم يوافق كما أنه لم يرفض ، ثم قال لهم بأنه أن تمكنت قوات الحلفاء من شمطر ألمانيا إلى قسمين فيجب إنشاء قيادة ألمانية فى كل من الشطرين تتولى المعركة ، وأن يتولى جراند أدميرال دونتز القيادة فى الشطر الشمالى ويتولى الفيلد مارشال كسلرنج القيادة فى الشطر الجنوبى ، هذا إذا لم يقرر هتلر أن يتولى القيادة بنفسه فى شطر منهما . قرر هتلر كذلك أن يفوض جراند أدميرال دونتز كافة السلطات لقيادة المعركة فى الشطر الشمالى ، أما بخصوص الشطر الجنوبى فهو لا يزال لم يستقر على رأى لا لعدم ثقته فى الفيلد مارشال كسلرنج . (كانوا يطلقون على هذا الماريشال ماريشال هتلر لثقته هتلر الكبيرة فى قدراته) .

بعد أنتهاء الاجتماع بدأت قوافل ضخمة من سيارات النقل الكبيرة وأسراب الطائرات تنقل من أراد الخروج من برلين إلى « أوبرسا لزيورج » بينما كان هتلر يصيح بأنه يجب إعدام جميع ضباط سلاح الطيران لفشل السلاح كلية فى إيقاف زحف قوات الحلفاء . كان من بين الحاضرين الذين أستأذنوا فى الخروج من برلين هرمان جورنج وكان استئذاناً مثيرا إذ كان آخر لقاء بين الأثنين ، بين الفوهرر ونائبه .

وبينما قضى هتلر يومى ٢١ ، ٢٢ أبريل فى اعداد هجوم مضاد لصد القوات الروسية عن برلين من الجنوب وذلك باستخدام كافة القوات الألمانية الموجودة فى برلين جاءت الأنباء بأن القوات الروسية قد أخترقت خطوط الدفاع عن برلين من الشمال وبدأت طلائع قواتهم المدرعة فى التقدم إلى ضواحى المدينة .

ثار هتلر ثورة عارمة وأخذ يصيح يسب قواد الجيش ويرميهم بالخيانة والفشل والفساد والكذب ، وعندما هدأت ثورته بعد أن أعياه الجهد من

الصياح قال بأن النهاية قد قربت وأعلن على الحاضرين بأنه قد يئس من مهمته وأن دولة الرايخ الثالث قد أنهارت وأنه لم يبق للذى أقامها غير الموت . قال بأنه لن ينتقل إلى الجنوب وأن كل من يريد الانتقال إلى الجنوب فليفعل ذلك وأنه باق فى برلين ليقابل النهاية .

أجابه بعض القواد بأنه لا تزال هناك قوات سليمة تحت قيادة الماريشال كسلرنج والجنرال « شورنر » وأنه لا محل لليأس وطلبوا إليه أن ينتقل إلى « أوبرسا لزبورج » قبل فوات الأوان . حاول هملر ودونتز وريبنتروب أن يثنوه عن عزمه ولكنه رفض الاستماع إليهم كلية وصمم على أن يتولى بنفسه الدفاع عن برلين . طلب هتلر أن يعد بيان لإذاعته على سكان برلين بأن الفوهرر باق فى برلين وأنه لن يغادرها لكى يواجه الموقف حتى النهاية . أذيع هذا البيان فى اليوم التالى فى كافة أنحاء الرايخ وقال الراديو الألمانى بأن برلين وبراج هما قلعتا الرايخ الحصينتان وأن هتلر وجوبلز سيبقيان فى برلين حتى النهاية .

طلب هتلر جوبلز وزوجته وأولاده الستة وأمر أن يقيموا من الآن فصاعدا بدار الشانسلريه . أعلن جوبلز بأنه سيبقى فى برلين وسوف ينتحر فيها إذا أستدعى الأمر وقالت مدام جوبلز بأنها ستفعل نفس الشىء وستعطى سما لأطفالها الستة . طلب هتلر أحضار أوراقه السرية الخاصة وأخذ يختار منها ما يجب إعدامه وتم ذلك بواسطة أحد مساعديه فى حديقة الدار . دعا هتلر الجنرال كايتل وبورمان وكرر على أسماعهما بأنه لن يترك برلين مطلقا . أشار هتلر إلى الجنرال كايتل بأصبعه وقال له « أنك تتلقى أمراً منى وهو أن تنتقل غدا إلى برختسجادن ، ولما أجابه كايتل بأنه لن ينتقل إلا بصحبة هتلر طلب هتلر أستدعاء الجنرال « يودل » وأمره هو الآخر بأن ينتقل إلى الجنوب .

حاول كل من الجنرال كايتل والجنرال يودل أقناع هتلر بسحب القوات الألمانية من الجبهة الغربية وترك غرب ألمانية يحتله البريطانيون والأمريكيون وتركيز الدفاع عن برلين كى لا تسقط بيد الروس ولفتا نظره إلى أن ثلاثة أرباع القوات الألمانية توجد بالجنوب وليس من الممكن قيادتها من برلين

فلم يأبه هتلر برأيهما وصمم على رأيه بالبقاء فى برلين وأبلغهما بأنه ليس لديه أوامر أخرى لكى يصدرها وأن كانوا بحاجة إلى أوامر فعليهما بأن يطلبوها من « ماريشال الرايخ » ولما أجابه الأثنان بأنه لا يوجد جندى واحد يقبل دخول المعركة تحت أوامر « ماريشال الرايخ » أجابهم « بأنه لم يبق شىء يحاربون من أجله ، وإن كان الموقف قد أصبح طريقاً إلى المفاوضات فإن الماريشال جورنج (ماريشال الرايخ) هو أقدر منى على القيام بها » .

بدأت قنابل المدفعية الروسية تتساقط على دار الشانسلريه نفسها بينما كانت أفواج الهاربين من برلين مستمرة ، ولم يبق من كبار أعوان هتلر الابورمان وجوبلز وريبستروب ، والجنرال كريس وبعض كبار الضباط ، بالإضافة إلى إيفا براون .

فى ٢٣ أبريل لوحظ بأن هتلر قد بدأ يعود إلى الهدوء التام رغماً عن غارات سلاح طيران الحلفاء على برلين فعاد بورمان وريبتروب يحاولان أقناعه مرة أخرى بمغادرة برلين فكرر عليهما بأنه كان يود أن يشترك فى المعركة بنفسه لولا ضعف بنيته وخشيته من أن يصاب بجراح فيقع بأيدى الروس ولذلك فإنه يفضل بأن يطلق الرصاص على نفسه ، كما أنه قد أعد كل شىء حتى لا تقع جثته بأيدى الروس فيتخذونها أداة للدعاية ولذلك فقد قرر أن تحرق جثته تماماً بعد أن يموت .

فى تلك الأثناء بعث الماريشال جورنج إلى هتلر برسالة يقول له فيها بأنه نظراً لما قرره من البقاء فى برلين ، ونظراً لأن برلين قد أصبحت مدينة محاصرة وبالتالى فإن حريته فى العمل ستتوقف كرئيس للدولة فإنه يطلب إليه أن يؤكد له فوراً وقبل الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم ما سبق أن قرره من أن يكون خليفته فى رياسة الدولة وذلك لكى يتمكن من أن يتولى الأمور من بعده لما فيه مصلحة الشعب الألمانى . أجابه هتلر بأن تصرفه هذا خيانه ، وأن عقوبة الخيانة هى الأعدام ولكن نظراً لخدماته السابقة فإنه يكتفى الآن بأن يطلب إليه تقديم أستقالته فوراً من كافة المناصب التى يتولاها ، وأصدر أمره إلى الجستابو بالقبض على جورنج وكبار أعوانه . بادر جورنج

بالاستقالة من كافة مناصبه وأذيعت الاستقالة على أنها لأسباب صحية . بقى الآن موضوع خلافة هتلر ليبت فيه هتلر بنفسه .

فى ٢٥ أبريل كانت القوات الروسية قد أكملت حصار برلين وأصبح من المتعذر على أحد أن يخرج منها عن طريق البر ، وفى ليلة ٢٥ — ٢٦ أبريل أخذت قنابل المدفعية الروسية تنهال على دار الشانسلريه وبدأ هتلر يوزع كابسولات السموم القاتلة لاستعمالها فى الوقت المناسب .

كان من بين الموجودين فى دار الشانسلريه ممثل شخصى لهملر ليكون حلقة الاتصال بين هملر وهتلر أسمه « هرمان فيجيلاين » Hermann Fegelein وكان قد تزوج منذ وقت قصير من « جريتل » شقيقة إيفا براون . تمكن فيجيلاين هذا من التسلل من دار الشانسلريه إلى خارجها ولم يلحظ أحد أختفاءه لأن مقر نومه لم يكن قريباً من الدار .

فى ليلة ٢٧ — ٢٨ أبريل أشتد قذف المدفعية الروسية لدار الشانسلرية ففهم هتلر من ذلك بأن القوات الروسية تستعد لدخول وسط برلين . جمع هتلر معاونيه وشرح لهم ما يجب على كل منهم أن يقوم به لحرق جثته تماماً ، وأن وصول أول جندى روسى إلى وسط برلين سيكون إشارة بدء الإجراءات .

فى ٢٨ أبريل كان الروس قد نقلوا المعركة إلى داخل برلين أمام بعض القوات الألمانية المحطمة والتى كانت لا تزال تقاوم فى يأس ، أخذ هتلر يمطر الجنرال كايتل بالأوامر لمواصلة المعركة .

فى مساء نفس اليوم وصلت أنباء أذاعتها وكالة رويتر ونقلها إلى هتلر موظف من وزارة الأعلام الألمانية بأن هملر يجرى مفاوضات التسليم مع الكونت برنادوت مندوب الصليب الأحمر الدولى منذ بعض الوقت .

محاولات هملر للصلح فى فبراير ثم فى أبريل سنة ١٩٤٥ :

فى صبيحة يوم ٢٥ أبريل وصلت برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية من السير « فيكتور ماليه » وزير بريطانيا المفوض فى السويد يقول فيها

بأنه قد دعى يوم ٢٤ أبريل ، هو وزميله الأمريكى ، لمقابلة مستر « بوهيمان » وزير خارجية السويد وكان الغرض من المقابلة الاجتماع بالكونت برنادوت الذى أبلغهما بأنه قابل هملر فى الليلة السابقة وقد أبلغه هملر بأن ألمانيا قد أنتهت وأن هتلر قد مرض وقد يكون قد توفى الآن وإن لم يكن قد مات فإنه سيموت فى بحر بضعة أيام . أضاف هملر بأنه لو كان هتلر قادراً على التصرف ما لجا لأن يقترح ما يقترحه الآن ولكن ما دام هتلر قد أنتهى فإنه يمكنه الآن التصرف بكامل سلطته . طلب هملر أن ترتب له الحكومة السويدية مقابلة مع الجنرال آيزنهاور لكى يستسلم له على طول الجبهة الغربية (جبهة جيوش الديموقراطيات الغربية) . أبلغه برنادوت بأنه لا داع لهذه المقابلة إذ يمكنه أن يصدر أمره إلى الجنود بالتسليم ومع ذلك فهو لن ينقل طلبه هذا إن لم يتضمن تسليم جيوس الاحتلال الألمانى فى النرويج والدانمارك أيضاً لأنه فى هذه الحاله يكون للمقابلة هدف وهو الاتفاق على الجهه التى ستتلقى استسلام الجنود الألمان فى هاتين الدولتين . أجابه هملر بأنه يمكن أن يستسلموا إلى جنود بريطانيين أو أمريكيين أو سويديين . عندما سأله برنادوت عما سوف يفعله إذا ما رفض الحلفاء الغربيون طلبه أجابه بأنه سيتولى قيادة الجبهة الشرقية بنفسه ويموت فى المعركة . أبدى هملر أمله فى أن يدخل الحلفاء الغربيون برلين قبل الروس حتى يمكن أنقاذ السكان أبدى الوزيران المفوضان بأن رفض هملر الاستسلام على الجبهة الشرقية هى محاولة لإثارة الشقاق بين الحلفاء الغربيين والروس ولكن وزير خارجية السويد كان يرى — مع تسليمه بصحة تلك الملاحظة — بأن استسلام الألمان على الجبهة الغربية وفى النرويج والدانمارك سوف يسهل الأمور كثيراً ويؤدى إلى الاستسلام التام للألمان . أبلغ وزير خارجية السويد الوزيرين المفوضين بأن حكومة السويد فى حل من أن تبلغ الروس بكل ذلك حتى لا تتهم بأنها تعمل على التفرقة بين الحلفاء ، وأن الذى لا يمكن السويد من أبلاغ الروس الآن مباشرة هو أن هملر قد وضع شرطاً هو أن تكون هذه المعلومات للحلفاء الغربيين فقط .

ما أن تلقى تشرشل تلك المعلومات حتى بادر فى نفس اليوم — بالاتفاق

مع الرئيس ترومان — إلى أبلاغ ستالين بها وبأنهما قد أشترطا التسليم للحلفاء الثلاثة وبدون قيد أو شرط وطلب من الكونت برنادوت أبلاغ ذلك إلى هملر .

لم يسمع الحلفاء الثلاثة بعد ذلك شيئاً عن هملر حتى يوم ٢١ مايو عندما قبض عليه فى مركز مراقبة بريطانى عند « بريمر فورد ؛ وكان متخفياً . لم يكن من السهل التعرف على شخصيته ولكن أحد الحراس داخله الشك فى صحة أوراق تحقيق الشخصية التى كان يحملها فنقله إلى معسكر بجوار قيادة الجيش الثانى البريطانى ، ولما بدأ باستجوابه أفصح عن شخصيته وسرعان ما وضعت عليه حراسة مسلحة مشددة ثم فتش تفتيشاً دقيقاً بواسطة طبيب للبحث عما قد يكون يحمله من مواد سامة . عندما أشرف التفتيش على نهايته عض هملر على أنبوبة صغيرة كان يخفيها بين أسنانه تحتوى على مادة السيانيد السامة فتوفى لساعته يوم ٢٣ مايو .

أنت أيضاً يابروتس :

كان برنادوت قد عاد إلى مقابلة هملر فى ٢٧ أبريل وأبلغه بأن الحلفاء الغربيين لا يقبلون التفاوض مع هملر كما أنهم يرفضون ما عرضه من تسليم جزئى للقوات الألمانية . كان هملر يعتقد بأنه هو الخليفة الطبيعى لهتلر بعد ما حدث لجورنج ولكن المشكلة كانت لا تزال قائمة وهى أن هتلر كان لا يزال حيا . . . . . حقيقة أنه يقيم فى مخبأ ينخفض خمسين قدماً عن سطح الأرض ويعيش منهوك القوى لا يتمكن من رؤية البلد التى يحكمها وليست لديه قوة ولا حرية التصرف ولكنه مع ذلك يصدر الأوامر فيجد من يطبيعه وينفذها .

عندما أبلغ هتلر بنبأ مفاوضات هملر مع برنادوت أستولى عليه الغضب الشديد ولكنه أقتنع الآن بأن النهاية قد أزفت وبدأ يستعد لمواجهتها طبقاً لما خططه بنفسه وأعلن على مساعديه بأن هذا النبأ هو أسوأ أنباء الخيانة التى سمعها فى حياته .

فى ليلة ٢٨ — ٢٩ أبريل بدأ هتلر فى تنفيذ ما أعتزم عليه . أرسل فى طلب « فيجيلان » زوج شقيقة إيفا براون وممثل هملر فى دار الشانسلريه ولما لم يجده طلب البحث عنه بواسطة الجستابو وأحضاره . تمكن الجستابو من العثور عليه نائماً بمسكنه بأحد أحياء برلين فأحضر إلى هتلر وبعد حديث قصير معه أمر هتلر أحد جنود الحرس بنقله إلى حديقة دار الشانسلريه وإعدامه رميا بالرصاص فتم ذلك على الفور .

بعد منتصف ليلة ٢٨ — ٢٩ أبريل أراد هتلر أن يصدر أمراً بالقبض على هملر وأحضاره وأخذ يصرخ « الخائن لا يمكن أن يخلفنى كفوهرر » ولكن المدفعية الروسية كانت تدك برلين بنيران رهيبة .

زواج هتلر بايفا براون :

فى الساعات الأولى من صباح يوم ٢٩ أبريل دعا هتلر إلى جناحه الخاص كلا من جوبلز وبورمان وحضر هر « والترفاجنر » محافظ برلين (الجاولايتر) وقف هتلر وبجواره إيفا براون ووالتر فاجنر ووقف جوبلز وبورمان كشاهدين . أعلن كل من هتلر وإيفا براون بأنهما ينحدران من أصل آرى نقى وأنهما غير مصابين بأمراض وراثية وأنهما سيتزوجان طبقاً للإجراءات المتبعة فى حالة الحرب وذلك بالاكتفاء بكلمة قبول من كل من الطرفين : بعد أن نطق كل منهما بالموافقة كان السجل المدنى معدا فأمضاه كل منهما وبذلك أنتهى الحفل فى دقائق . حدث عندما جاءت إيفا براون لتوقع على السجل أن أمضت إيفا وبدأت تكتب حرف ب فاستدركها هتلر لتشطب حرف الباء وتكتب إيفا هتلر المولوده براون . كان بعض الجنرالات وموظفى السكرتارية خارج الغرفة فخرج العروسان لتلقى تهانيهم ثم أنتقلا إلى جناحهما الخاص حيث أعدت مائدة الأفطار التى دعى إليها بعض الموجودين .

بعد ذلك طلب هتلر أستدعاء سكرتيرته الخاصة (مدام يونج) وأملى عليها وصيته السياسية ووصيته الخاصة . فى الساعة الرابعة من صبيحة يوم ٣٠ أبريل كانت الوصيتان قد كتبتا من ثلاث صور ومعدة للأمضاء فأمضاها هتلر جميعها . صدق كل من جوبلز وبورمان وكريس وبيرجدورف على

الوصية السياسية كشهود ، وصدق كل من جوبلز وبورمان والكولونيل نيكولاوس فون بيلو مساعد هتلر لشئون الطيران على الوصية الشخصية كشهود .

وصية هتلر السياسية :

تقع الوصية السياسية فى جزءين ، الجزء الأول يتناول مسائل عامة والجزء الثانى يتناول مسائل خاصة . جاء بالجزء الأول « ليس صحيحاً أن أعتبر — أو أى شخص آخر فى ألمانيا — مسئولا عن حرب سنة ١٩٣٩ ، لقد أراد هذه الحرب وعمل على أشعالها أولئك السياسيون العالميون الذين أنحدروا من عنصر يهودى أو كانوا يعملون لتحقيق مصالح يهودية . بعد أن قدمت كل مقترحاتى لنزع السلاح لا يمكن للأجيال القادمة أن تلقى على مسئولية تلك الحرب » .

جاء بها أيضاً « بعد ست سنوات من المعارك ، ستعتبر هذه الحرب عبر التاريخ يوماً ما مظهراً رائعاً لبطولة شعب أراد الحياة رغماً عما تخللها من نكسات ، أنه لا يمكننى أن أتخلى عن عاصمة الدولة أو أن أتركها ، ولما كانت قواتها قد أصبحت أضعف بكثير من أن تصمد لهجمات العدو ، ولما كانت مقاومتنا ستنهار تدريجياً أمام جيش من المدرعات والمصفحات فقد رغبت فى أن أشترك فى مواجهة المصير الذى ينتظر ملايين الآخرين الذين قبلوا أن يبقوا فى هذه المدينة . بالإضافة إلى ما تقدم فإننى لا أريد أن أقع فى إيدى عدو فى حاجة إلى أن يقيم منظراً جديداً يعرضه اليهود أمام جماهيره الهستيرية ، لكل ذلك قررت أن أبقى فى برلين وأن أختار الموت عن طيب خاطر فى اللحظة التى أعتقد فيها بأنه لم يبق فيها أى أمل فى الدفاع عن مقر الفوهرر » ، ثم قال هتلر عن القوات المسلحة « فليسجل التاريخ كلمة شرف لضباط الجيش الألمانى كما سجلها لضباط البحرية بأن تسليم الأراضى والمدن هو أمر مستحيل ، وفوق كل شىء يجب على القادة أن يضربوا المثل الرائع للأخلاص للواجب حتى الموت » .

أما الجزء الثانى من الوصية فيتضمن توزيع الأتهامات والعقوبات ،

فقد جاء به « قبل موتى أطرد من الحزب ماريشال الرايخ هرمان جورنج وأسقط عنه كافة الحقوق التى أكتسبها بقرارى فى ٢٩ يونية سنة ١٩٤١ وبخطابى فى الرايشستاج يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، أننى أعين فى مكانه بدلا عنه جراند أدمير ال دونتز كرئيس للرايخ وقائداً أعلى للقوات المسلحة » .

قبل موتى أطرد من الحزب ومن جميع وظائف الدولة « رايخ فوهرر ووزير الرايخ للداخلية هنريش هملر وأعين مكانه المحافظ (جاولايتر) كارل هانكه ، رايخ فوهرر ورئيساً قللبوليس الألمانى ، والمحافظ (جاولايتر) بول جيزلر وزيراً للرايخ للداخلية » .

« أن جورنج وهملر ، بالمفاوضات السرية التى أجريانها مع العدو بدون علم منى أو موافقتى وبوسائلهما الغير شرعية للاستيلاء على السلطة فى الدولة ، بجانب خيانتهما لشخصى ، قد أرتكبا عاراً لا يمكن أصلاحه للدولة الألمانية وللشعب الألمانى بأسره » .

ختم هتلر وصيته السياسية بتعيين وزارة جديدة . « ولكى يكون للشعب الألمانى حكومة مكونة من رجال شرفاء يستمرون فى الحرب بكل الوسائل فإنى أعين جوبلز رئيساً للحكومة وبورمان رئيساً للحزب وسايس انكوارت وزيراً للخارجية . . . ثم يأتى أسماء بقية أعضاء الوزارة » .

أنهى هتلر وصيته السياسية بأن أوصى خلفاءه بما يلى « فوق كل شىء تجب المحافظة على قوانين العنصرية بكافة شدتها ، كما تجب مقاومة السم المدسوس لكافة الشعوب وهو سم اليهودية الدولية مقاومة دون هوادة » .

وصية هتلر الشخصية :

أما الوصية الشخصية فقد جاء بها « أعتقدت خلال سنى الكفاح بأنه لا يمكننى أن أتحمل مسئولية الزواج ، أما الآن وقبل أن أنهى حياتى فقد قررت أن أتخذ زوجة لى المرأة التى حضرت إلى هذه المدينة المحاصرة بمحض إرادتها وكامل حريتها وبعد سنوات طويلة من الصداقة ، لكى تشاركنى نفس المصير ، وستقابل الموت هى الأخرى كزوجة لى بكامل رغبتها .

أن هذه الوصية تعوضنا عما فقدناه نحن الأثنين خلال عملى فى خدمة شعبى » :

عن متعلقات هتلر الشخصية فهو يوصى بما يلى : « أما ممتلكاتى ، إذا كانت تساوى شيئاً فهى ملك للحزب ، وإذا لم يكن للحزب وجود فتؤول إلى الدولة ، وإذا ما تحطمت الدولة فلست بحاجة إلى أن أوصى بشىء من ناحيتى » . عن الصور الزيتية ضمن المجموعات التى أشتريتها على ممر السنين فلم أجمعها لغرض شخصى ولكن بهدف إنشاء معرض للصور فى مسقط رأسى بلدة « لينز » على الدانوب » ، « أنها رغبة من كل قلبى أن تنفذ هذه الوصية ، وأننى أعين رفيقى المخلص فى الحزب مارتن بورمان منفذا لها وأعطيه فى سبيل ذلك كامل السلطة الشرعية لاتخاذ كافة الإجراءات لتنفيذها ، كما أعطيه الحق فى أن يسلم لأقاربى أى شىء له قيمة من متعلقاتى الشخصية على سبيل التذكار أو لتكون ضرورية لهم لكى يحافظوا على مستوى معيشى بسيط وخاصة إلى والدة زوجتى وإلى الذين قاموا بخدمتى من الذكور والإناث وهو يعرفهم جيداً لا سيما سكرتيرتى السابقة السيدة « وينتر » التى ساعدتنى كثيراً بعملها لسنوات طويلة » و « أن زوجتى وأنا نفضل أن نموت كى نتفادى عار الخراب أو عار التسليم ، أنها رغبتنا أن تحرق جثثانا فوراً فى المكان الذى كنت أقوم فيه بتأدية الجزء الأكبر من عملى اليومى خلال الأثنى عشر عاما التى خدمت فيها شعبى »

عندما قرأ جوبلز وصية هتلر جلس يكتب تعليقاً عليها فيما يلى نصه :

« لأول مرة فى حياتى أرفض أن أطيع أمراً للفوهرر ، أن زوجتى وأولادى يشاركوننى هذا الرفض ففضلا عن أن شعور الوفاء والاخلاص للفوهرر يمنعنى من أن أتركه فى هذه الساعة الشديدة الحرج فسوف أظهر مدى حياتى الباقية كوغد خائن لا شرف له ولسوف أفقد أحترامى لنفسى واحترام مواطنى لى ، هذا الاحترام الذى سوف أحتاج إليه حتى لو حاولت مرة أخرى تشكيل الدولة الألمانية والشعب الألمانى ، وأنه فى حمى الخيانة التى تحيط بالفوهرر هذه الأيام شديدة الحرج فى الحرب يجب أن يبقى شخص واحد على الأقل بجانبه دون أى تحفظ حتى الموت وحتى لو تعارض

هذا الأمر الذى أعطاه فى وصيته السياسية » . بعملى هذا أعتقد بأننى أؤدى خدمة جليلة لمستقبل الشعب الألمانى لأنه فى الأيام العصيبة القادمة ستكون المثل أهم من الرجال ، ستوجد الرجال على الدوام الذين يمكنهم قيادة الشعب نحو الحرية ولكن إعادة بناء حياتنا الوطنية سوف لا يمكن تحقيقه إن لم يتطور على أساس واضح ومثل مفهومه ، ولهذا السبب فأننى أعبر عن قرار لا يقبل التعديل ، بالأشتراك مع زوجتى ونيابة عن أطفالى الصغار الذين لا يمكنهم أن يعبروا عن شعورهم والذين لا أشك فى موافقتهم على هذا القرار إن كانوا كباراً ، قرارنا هو أن لا نترك عاصمة الرايخ حتى لو سقطت ، وأن ننهى حياتنا بجانب الفوهرر ، الحياة التى سوف تصبح بدون قيمة لى إذا لم أتمكن من قضائها فى خدمة الفوهرر وبجانبه » .

كانت الساعة الخامسة والنصف صباحا عندما أنهى جوبلز كتابة هذا التعليق وأمضاه فى الساعة الثامنة والحق كمرفق بوصية هتلر .

تولى الجنرال « بيرجدورف » إرسال نسخة من وصية هتلر إلى الفيلد مارشال « شورنر » القائد الأعلى الجديد للجيش ، كما تولى بورمان إرسال نسخة إلى جراند أدميرال « دونتز » مع رسول خاص ومعه تعليق جوبلز عليها ، وأصدر أمراً إلى الرسول بأن يهرب إلى أرض يحتلها البريطانيون أو الأمريكيون إن فشل فى الوصول إلى مقر قيادة الجراند أدميرال « دونتز » واحتفظ بورمان بالنسخة الثالثة لنفسه ، ثم اختفى كلية ولم يعثر الحلفاء على أى أثر له بعد ذلك .

أنتحار هتلر وزوجته إيفا براون :

فى صبيحة يوم ٢٩ أبريل جاءت الأنباء إلى هتلر بالقبض على موسولينى وإعدامه ، كما جاءته الأنباء العسكرية بأن الروس يتقدمون لإحكام الحصار حول دار الشانسلريه .

بعد ظهر نفس اليوم أمر هتلر بإعدام كلبه الألزاسى الخاص الذى كان يسميه « بلوندى » كما أمر الحارس الذى كان يشرف على كلبين آخرين بإعدامهما .

فى المساء أرسل هتلر أحد الحراس ليقول بأن الفوهرر يريد أن يودع السيدات وأنه يجب على الجميع عدم التوجه للنوم قبل تلقى أوامر أخرى . فى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف ليل ٢٩/٣٠ أبريل طلب إليهن الحضور وكان عددهن حوالى العشرين ، ولما اجتمعن خرج إليهن هتلر من جناحه الخاص مصحوباً ببورمان وحيا كلا منهن وصافحهن .

ظهر يوم ٣٠ أبريل جاءت الأنباء بأن القوات الروسية قد تقدمت واحتلت الطريق المؤدى إل دار الشانسلريه .

فى الساعة الثانية بعد الظهر تناول هتلر غذاءه المعتاد ولكن زوجته إيفا براون لزمت جناحها الخاص ، وكان هتلر هادئاً ولم يتحدث بشئ عما يعتزمه ولكن كانت هناك تعليمات منه بإعداد مائتى لتر بترول فى الحديقة .

بعد أن تناول هتلر غذاءه دخل إلى جناحه الخاص وبعد فترة قصيرة خرج هو وزوجته إيفا براون وصافحا بورمان وجوبلز وبيرجدورف وكريس وآخرين . لم تكن مدام جوبلز ضمن الحاضرين إذ لزمت غرفتها الخاصة مع أطفالها طول النهار . بعد أن صافح هتلر وزوجته كافة الموجودين عاداً إلى جناحهما الخاص . بعد برهه سمع صوت طلقة مسدس ، وبعد برهة أخرى دخل المجتمعون جناح هتلر الخاص ، كان هتلر ممدداً على الكنبة والدماء تنزف من رأسه ، لقد أطلق الرصاص على نفسه من خلال فمه . كانت إيفا براون ممددة هى الأخرى على الكنبة وقد فارقت الحياة ، وجد مسدس بجوارها ولكنها لم تستعمله ، فقد فضلت أن تتناول سماً قاتلا سريع المفعول . كانت الساعة قد بلغت منتصف الرابعة بعد الظهر . نقلت الجثتان إلى الحديقة ووضعتا بجوار بعضهما وسكب عليهما البترول وأشعلت فيهما النار ، ظلت النار مشتعلة فى الجثتين اشتعالا قوياً حتى أتت على كل معالمهما . والغريب أنه لم يتمكن الروس — بعد دخولهم دار الشانسلريه — فى اليوم التالى من العثور على بقايا الجثتين من العظام التى لا يمكن للنيران أن تدمرها وتحولها إلى رماد بسهولة وفى وقت قصير ، لاسيما وأنه لم يكن بدار الشانسلريه من البترول ما يكفى للمحافظة على اشتعال النيران فيهما حتى

اليوم التالى ، وقد قيل بعد ذلك بأنه لم يكن بدار الشانسلريه من البترول إلا مائة وثمانين لترا عندما أمر هتلر بإعداد مائتى لتر لاحراق الجثتين .

وهكذا انتحر القائد الذى طالماً قال بأن « انتحار الرجل هو علامة الجبن والخور » .

قال بعض المؤرخين بأن الرماد الذى تخلف عن الجثتين قد وضع فى صندوق وأخذه « أرتور اكسمان » قائد منظمة شباب هتلر ، ولكن لم يعثر على أثر لهذا الصندوق حتى يومنا هذا .

أما فيما يختص بجوبلز وزوجته وأولاده الستة فقد قام جوبلز فى مساء نفس اليوم بتنفيذ ما عاهد نفسه عليه فأعطى كبسولة سم إلى كل من أطفاله الستة ثم خرج هو وزوجته إلى الحديقة ووقفا ثم أطلق كل منهما الرصاص على نفسه وفارقا الحياة . أحرقت الجثث طبقاً لما كان قد أوصى به أحد مساعديه .

هتلر أمام التاريخ :

الحياة الخاصة لأى شخص هى التى تعطى صورة صادقة لشخصيته ، فإن كانت هذه النظرية صحيحة فهى أصدق بالنسبة لشخصية تاريخية فريدة أحاطت نفسها بمئات الأقنعة وضربت سياجاً حديدياً عليها بعد وصولها إلى السلطة ولم تظهر وجهها الحقيقى على الإطلاق .

لم يترك هتلر أى مستند لحياته الخاصة ، كما لم يترك أن مستند لأفكاره سوى كتاب (ماين كامف) الذى أصبح كتاب النازى المنزل ومصدر إلهامهم وهدى تفكيرهم .

تحدث هتلر فى هذا الكتاب عن كل ما يهمه فى إعادة بناء الشعب الألمانى وإقامة دولة الرايخ الثالث ، دولة السلطة ، ولم يفوته حتى الحديث عن مرض « الزهرى » وضرورة تعقيم الرجال الذين يصابون به ولا أمل لهم فى شفائهم منه . أطلق هتلر على الدعارة « وصمة الإنسانية » ويرى بأن العلاج الوحيد لها هو زواج الشبان جميعاً فى سن مبكرة وأن التدريب الشاق والرياضة المستمرة تساعد على منع تفشيها . يلاحظ بأنه لابد وأن تكون

هناك خلفيات وتجارب سابقة فى نفس هتلر تجعله يهتم بالحديث عن هذا الموضوع ويضفى عليه اهتماماً خاصاً .

كانت تصرفات هتلر مع النساء مشوبة بالغموض والغرابة فكثيراً ممن قربهن هجرنه بعد وقت قصير ، بل منهن من اتخذن عشيقاً فى فترة صداقته لهتلر حتى إيفا براون نفسها صادقت — بعد أن اتخذها هتلر صديقة له بوقت قصير — شاباً نمساوياً رساماً ، ولما علم هتلر بعلاقتها به أركبها سيارته وتوجه معها إلى منزل هذا الشاب وكان اسمه « كورت » وأطلق عليه النار بنفسه من مسدسه فأرداه قتيلا بينما بعث بعائلته بأكملها إلى معسكر الاعتقال وأمر بمحو كل أثر لأسمائها من سجلات الدولة .

يبدو ذلك تطوراً غير طبيعى لرجل فى مركز هتلر ولكن مما يدعو إلى الدهشة أن كثيراً من تصرفات هتلر فى حياته الخاصة لم تكن طبيعية . تقول إيفا براون أنه كثيرا ما كان يستولى عليها الخوف منه وكثيراً ما خشيت من أن يقضى عليها إذا ما جاءته نوبة للخلاص منها . تقول فى مذكراتها أنها كثيراً ما رأته يقرأ فى كتاب بعنوان « مرجع فى الطب النفسى » للعالم السويسرى بليوار (Bleuer) ، وكان يطوى صفحات الكتاب إذا ما فاجأته يقرأ فيه ، وأنها لاحظت عليه بعض التصرفات الغير طبيعية وكثيراً جداً ما كان يحدثها عن الفرق بين العبقرية والجنون .

قال القادة الألمان أمام محكمة نورمبرج بأنه لم يداخلهم شك على الإطلاق فى سلامة عقلية هتلر ، ورفضوا كلية الاعتراف بأنهم كانوا تحت قيادة مجنون ، بل أن الجنرال « كايتل » ، وهو عبقرية عسكرية رفيعة ، قد صرح أمام المحكمة بأن هتلر عبقرية استراتيجية نادرة .

إذا كان هتلر أمام البعض شخصاً معتوهاً متناقضاً ولا يمكن التكهن بما يريد ، وأمام الملايين شخصاً يستحق العبادة فهو يملأهم حباً وخوفاً وافتناناً بالوطنية فما هو السر فى هذا التناقض يا ترى ؟ وما هى مصادر قوة هتلر الضخمة ؟ .

جمع هتلر بين يديه على مدى اثنتى عشرة سنة أضخم السلطات فى أعظم

دولة أوربية وحكم شعباً من أنشط ومن أكثر شعوب العالم تقدماً ، كان زعيما لحزب النازى وقائداً أعلى للقوات الألمانية فى البر والبحر والجو وزعيما للشعب الألمانى ورئيساً لدولة الرايخ الثالث .

الحقيقة التى لا فكاك منها أنه إن اجتمعت لصاحب العقيدة القدرة على التنظيم والقدرة على الزعامة فإنها تكون نادرة الحدوث بين البشر ، وهنا تكمن العظمة ، والحقيقة التى لا فكاك منها أيضاً هى أن هتلر كان صاحب عقيدة وكانت لديه القدرة الخارقة على التنظيم وكافة الصفات التى أهلته لكى يتزعم شعباً عظيما .

كان هتلر صاحب عقيدة وجدت هوى فى نفس الشعب الألمانى ، وكان يتمتع بصفات تلاحمت مع مشاعر الشعب الألمانى وتجاوبت مع آماله وأهدافه ، كان يقول للشعب الألمانى بأنه شعب منحدر من أصل رفيع وأنه سيد الأجناس البشرية وأنه يستحق أن يسود سائر الشعوب . قال هتلر فى سنة ١٩٣٤ عندما كان يناقش موضوع اليهود والسلاف « أن الطبيعة قاسية ، ولذلك فنحن أيضاً قد نكون قساة ، إن كنت أبعث بزهرة شباب المانيا إلى جحيم الحروب بدون أية ذرة من مشاعر الرحمة لسفك دماء هذا الشباب الزكية إذن فلى الحق بالتأكيد أن أقتل الملايين من جنس منحط ، الجنس الذى يتناسل مثل الحشرات » .

كان هتلر يتمتع بحاسة سياسية رفيعة وكانت حساباته على مستوى رفيع وتقديراته تصل إلى أدق التفاصيل ، وكان بارعاً فى اختيار المناسبة والتوقيت . كان يتمتع بنظرة ثاقبة فى ثنايا المستقبل تمثلت فى استئثاره برأيه عندما نصحه معاونوه وفى مقدمتهم (روأهم) فى ربيع سنة ١٩٣٢ أن يقوم بانقلاب للاستيلاء على الحكم فرفض ، وكذا عندما فشل النازى فى انتخابات نوفمبر سنة ١٩٣٢ فقد نصحه معاونوه بأن يعترف بالهزيمة ويقبل الاشتراك فى حكومة ائتلافية بشروط غير مواتية ولكنه رفض لثقته التامة فى الوصول إلى الحكم بطريق قانونى مشروع وبتغلبه على معارضيه ، وقد تم له ذلك بعد بضعة أشهر عندما فاز فى انتخابات مارس سنة ١٩٣٣ .

يقول المؤرخون بأن قوة هتلر تعتمد أولا على القوة الذهنية المبنية على المنطق ، وقد يبدو هذا غريباً لأن تصرفات هتلر لم تكن مبنية على الاستدلال المنطقى إذ كان رجل عاطفة ورجل غريزة وليس برجل تعقل وحوار واقتناع ، وأن قوته الذهنية مثل الحرباء تعرف متى تغير لونها ، وأن منطقه هو منطق النمر عندما يجوع فلا يفكر إلا فى البحث عن الطعام . قال هتلر عن نفسه مرة متفاخراً بأنه « متربص » . أما عن عواطفه فقد كان يسيطر عليها الحقد والكراهية والغل وشهوة السلطة والسيطرة ، وحيث لا يقوى على السيطرة فإنه يقتل ويخرب لذلك كان يمجد القوة ويؤمن بفاعليتها أكثر من فعالية الفكرة ، وكان يسعده أن يثبت بأن الخوف وحب المال والعواطف الجنسية تسيطر على البشر جميعاً .

كان يؤمن إيماناً عميقاً بأنه مبعوث العناية الإلهية وأن كل ما يصدر عنه هو من إلهام تلك العناية الإلهية ، ولذلك فلم يضمن وصيته كلمة أسف واحدة على هلاك الملايين من البشر وخراب آلاف المدن والقرى ، وذلك لاعتقاده الراسخ بأنه لم يخطأ عندما أشعل نار الحرب ، بل الخطأ هو خطأ الآخرين .

كان هتلر يعتقد فى ضرورة تكوين « الإنسان الألمانى » وتطوير شخصيته بعد جمع شمل الجنس الألمانى وإقامة دولة الرايخ الكبرى ، كل هذا لكى يتقمصه رجل واحد تتمثل فيه كل دعائم النظام وهذا الرجل الواحد هو هتلر نفسه . كان هتلر يقول بأن الأغلبية لا يمكن أن تحل محل « هذا الرجل » .

لهتلر عقيدة أخرى هامة هى نقاء الجنس ، الجنس الآرى ، ولكن هتلر لم يخترع نظرية سمو الجنس الآرى ونقاوته ، فقد سبقه إليها « جوبينو J· Arthur Gobineau » الفرنسى (جابينو هذا دبلوماسى وكاتب فرنسى ١٨١٦ — ١٨٨٢ ، صاحب نظرية عدم تساوى الأجناس البشرية فى القدرات الذهنية ، وقد تأثر بهذه النظرية الفلاسفة الألمان الذين ادعوا سمو الجنس الجرمانى) . غير أنه يمكن القول بأن الغالبية العظمى من علماء التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية يسفهون نظرية هتلر فى نقاوة الجنس ويقولون بأن الجنس النقى لا وجود له على سطح الأرض .

بدأت دعوة النازى باتحاد المانيا ولكنهم عندما تسلموا السلطة قاوموا سلطات ونفوذ البروتستانت والكاثوليك واليهود جميعاً كما أشاعوا الرعب فى نفوس كافة المذاهب السياسية الأخرى من جمهوريين وديمقراطيين واشتراكيين وشيوعيين . كان هتلر يؤمن بنظرية إشاعة الرعب لتثبيت نظام حكمه ، فقد شجع منذ البداية إشاعة الرعب لتكوين النظام النازى وكانت فرق الحرس الحديدى أداة لتنفيذ هذه السياسة التى كان مبدؤها العنف والشدة بدعوى المحافظة على النظام ، وقد استعملت فرق الحرس الحديدى هذه أشد وسائل العنف لإشاعة الرعب فى نفوس الشيوعيين على وجه الخصوص .

قام نظام هتلر على نظرية Fuhrer Prinzip (أو مبدأ الفوهرر) ومعناها باختصار قيام النظام على أساس السلطة التى تصدر من أعلى القيادة حتى أدناها ، والطاعة التى تبدأ من أدنى درجات السلطة إلى القمة ولا محل فى هذا النظام لنظرية الحكومة الديمقراطية . نجح النازى فى غرس مبادىء هذا النظام فى نفوس كل المنضمين إلى الحركة منذ البداية ، ويعزى هذا النجاح إلى أمرين أولهما طبيعة الشعب الألمانى الذى يحب ويحترم السلطة القوية القادرة على التوجيه ، وثانيهما ولع الشعب الألمانى برؤية اليونيفورم ، وقد قيل بأن الألمانى لا يشعر بأنه يرتدى سترة إن لم تكن يونيفورم ، ويمكن أن يضاف إلى هذين الأمرين محبة الشعب الألمانى للطاعة .

كان هتلر يعتنق مبدأ يؤمن به وهو أنه — فيما عدا حالات شاذة — فإن الرجل لا يكون مؤهلا للاشتراك فى العمل السياسى قبل سن الثلاثين لأنه قبل أن يبلغ هذه السن تكون نظرته إلى الحياة معرضة دائماً للتغيير والتبديل .

كان يرى بأن مهمة الصحافة هى أن تقول ما تريد الحكومة أن تقوله للناس ، لا أن تقول هى للحكومة ما يجب أن تفعله ، وأن حرية الصحافة فى الديمقراطيات الغربية هى مثل القرحة فى المعدة أو مثل الخـراج فى جسم الدولة .

من مصادر قوة هتلر أنه كان يحدد هدفه تحديداً دقيقاً ، قد يغير فى أسلوبه وفى خططه ولكنه لا يتراجع عن تحقيق هدفه مهما كانت الظروف ، كان يهدف إلى إقامة دولة المانية كبرى فى أوربا يجلس على قمتها ، وهو — كشأن كل دكتاتور — يشعر بأن قوته ليس لها حدود وأن رأيه وتفكيره هو الأعلى ، ورغماً عن ترهل هتلر فى حركاته فى سن مبكرة وعدم ظهوره بمظهر القوة الجسمانية ، فقد كانت قوة تحمله ضخمة ، كان يلقى الخطب أياماً وأسابيع ، الخطاب تلو الخطاب لساعات وساعات وكان يحتفظ على الدوام بنشاطه الذهنى والجسمانى . كان يقول « عندما يكون أمامى هدف أريد أن أحققه فإنى أشعر بالقوة لكى أصل إليه » .

من مصادر قوة هتلر غروره وزهوه البالغ وكان يريد أن يظهر دائماً بأنه رمز إرادة الشعب الألمانى وتمثل ذلك عندما أعلن بعد حركة التطهير التى قام بها فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٤ ، وقتل فيها عدداً من أقرب معاونيه بأنه قد تولى المحكمة العليا فى المانيا لمدة أربع وعشرين ساعة .

كان هتلر يقول بأن « اللغات سلاح خطير ، اللغات هى أخطر فيروس لنشر السلطة السياسية والسلطة الثقافية ، وعندما يتكلم كافة سكان أوربا اللغة الألمانية يمكننى أن أقول بأننى قد حققت هدفى » .

كان هتلر يخطط لكى يبقى النظام النازى فى المانيا لألف سنة ولكنه أنهار بعد اثنتى عشرة سنة ، لقد تفشى الفساد الخلقى فى هذا النظام بشكل لم يحدث فى تاريخ العالم حتى فى السنوات الأخيرة قبل سقوط الامبراطورية الرومانية ، وكان مفهوم النازى للخير والشر والفرق بينهما مفهوماً مختلفاً عما تواضع عليه البشر .

لقد ارتكب هتلر خطأين ، الخطأ الأول أنه لم يقدر قوة روسيا وإمكانياتها حق قدرها ، والخطأ الثانى أنه لم يعرف قدرة بريطانيا على حقيقتها ، ولقد سبق لنابليون أن ارتكب نفس الخطأين .

سيحتل هتلر مكانه فى التاريخ ولكن بجوار « أتيلا » ملك الهون الذى

انتصر على أباطرة الشرق والغرب وبنى امبراطورية على أشلاء الملايين وخراب الديار ثم سرعان ما زالت امبراطوريته بعد زواله .

كانت الحرب التى أشعلها هتلر أكثر دموية من أى حرب أخرى ، ولم يكن لها ما يبررها ، لقد كانت الحرب الأكثر دماراً فى التاريخ ، وكانت الحرب التى غيرت معالم العالم . كان هتلر الرجل المسئول عن هلاك عشرات الملايين من البشر وكان الرجل الذى جلب على عالمنا الحديث كارثة من أعظم الكوارث فى التاريخ .

فى شهر نوفمبر سنة ١٩٧٧ أصدرت حكومة المانيا الفيدرالية إحصائية رسمية جاء بها أن أكثر من سبعة ملايين و ٣٧٥ ألف المانى من العسكريين والمدنيين قد قتلوا خلال الحرب العالمية الثانية .